من روائع البديع في الحديث النبوي الشريف

دراسة أسلوبية

الأستاذ الدكتور

عبد العزيز فتح الله عبد الباري

أستاذ البلاغة والنقد الأدبي والأدب المقارن المشارك

أستاذ الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية العالمية

فرع جامعة التضامن العربية الفرنسية بالنيجر

عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية

مؤسسة يسطرون للطباعة والنشر والتوزيع

رئيس مجلس الإدارة

عماد سالم

المدير العام

أحمد فؤاد الهادي

مدير الإنتاج

مصطفى عماد

الطبعة :الاولي

الكتاب : من روائع البديع في الحديث النبوي الشريف

المؤلف : عبد العزيز عبد الباري

التصميم و الإخراج : /آية طارق

المقاس : ١٤★٢٠

رقم الايداع : ★★★★★ / ٢٠١٩

الترقيم الدولي :★-★★ -978-977-6768

العنوان : ٣ش صفوت - محطة المطبعة شارع الملك فيصل - الجيزة

التليفون : ٠١٢٢٩٣٠٠٠٢٩ - ٠١١٥٧٧٦٠٠٥٢

Email : Yastoron@gmail.com

موقعنا على الفيس بوك : مؤسسة يسطرون لطباعة وتوزيع الكتب

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

إهـــداء

إلى روح والدي

رحمه الله

وغفر له

وأدخله أعلى جنان الخلد

هذا الكتاب ثمرة علم كنت ترجوه

تقديم

الحمد لله الذي علم بالقلم ، والصلاة والسلام على خير العرب والعجم الذي نطق فأبان ، وتكلّم فأفصح ، وتحدّى فأعجز ، وبعد ؛

فإن القرآن الكريم معجزة البيان الإلهي الخالدة التي نهل من معينها أفصح العرب ﷺ ؛ فإذا أراك القرآن الكريم – كما يقول الرافعي – أنه خطاب السماء للأرض، أراك كلام النبوة أنه كلام الأرض بعد السماء ؛فلا تكلف فيه ولا إعمال ولا تصنّع ، إنما هو البلاغة الإنسانية في أسمى مراتبها تأتي فطرة وطبعا وسليقة عفو الخاطر والبديهة عليها أثر الوحي وسمة العبقرية في كلام شفاهي حي يتوخّى التأثير والإقناع في صدق فني وأخلاقي لا تجد له نظيرا في كلام المخلوقين ؛ فكأنما ألفاظ اللغة وتراكيبها قد أفضت إليه بأسرارها،وكاشفته بحقائقها ومكنونها،على الرغم من أن الحديث الشريف ينتمي إلى الثقافة الشفهية الخالصة

تلك نتيجة موجزة لهذه الدراسة: "من روائع البديع في الحديث الشريف : دراسة أسلوبية " [1] التي اتخذت من الموضوعية المتمثلة في المنهج الأسلوبي الذي ينظر إلى النص على اعتبار أن لصاحبه تصورا خاصا به،أو خطة خاصة ينتقى بناء عليها أو يختار من إمكانات اللغة "سماتٍ لغويةً معينة بغرض التعبير عن موقف معين،ويدل هذا الاختيار أو الانتقاء على إيثار المنشئ وتفضيله

هذه السمات على سمات أخرى بديلة، ومجموعة الاختيارات الخاصة بمنشئ معين هي التي تشكِّل أسلوبه الذي يمتاز به عن غيره من المنشئين"[٢] .

لذا قامت منهجية دارسة هذه الفنون البديعية في أسلوب رسول الله ﷺ في أحاديثه المروية بلفظها على المقارنة الأسلوبية بين الاختيارات المُتَحَقَّقة بالفعل أو المستعملة أي النص الذي ورد عن رسول الله ﷺ بلفظه ، وبين الاختيارات المستبعَدَةِ المفترَضَةِ من جانب الباحث من خلال ما يوفره له النظام اللغوي ، على اعتباره المعيار الذي على أساسه تم الاختيار[٣] إضافة إلى الرصد والوصف والإحصاء والمقارنة الفنية الجادة التي استتبعها تطبيق منهج استرجاع الإمكانات المتاحة – منهجا في تناول أبرز الفنون البديعية(الجناس والطباق والسجع) في الحديث الشريف تطبيقا على مسند الإمام الليث بن سعد [٤].وكان موضوعيا ومنطقيا أن تنصب الدراسة على الحديث الشريف المروي بلفظه لا بمعناه [٥]؛ لأنه لا يعد نصا تلفظ به النبي ﷺ .

وهذا ما دفع في التمهيد إلى تناول مسألة انتماء الحديث الشريف للثقافة الشفهية وما تتميز به وبلاغة النبي ﷺ وآلتها، وإلى مستوى أدبي ينتمي ؟ وما مصدر قوة الكلمة عنده ﷺ ؟ وهل كانت له ﷺ طريقة خاصة في إلقاء الكلام او الحديث ؟–

ثم جاءت الدراسة في ثلاثة فصول تناولت ثلاثة فنون من فنون علم البديع ،هي الجناس والطباق والسجع في الحديث الشريف

محاولة تبيان أهم الخصائص الأسلوبية لأسلوب الرسول ﷺ في استعمال هذه الفنون ومُناقشة لقضية السجع في الحديث الشريف مبينة هل جاء متكلفا أو عفو الخاطر والبديهة ثم ختمت الدراسة بخاتمة **أبرزت أهم النتائج الموضوعية لأهم الخصائص الأسلوبية التي ميزت أسلوب رسول الله** ﷺ في استعمال هذه الفنون البديعية ثم أردفت بمصادر الدراسة .

والله وحده أسأل التوفيق والسداد ، وحسبنا أن يكون كتابنا هذا فيه أريج الوحي مادة للدراسة وغاية للحياة ، وسببا موصلا للحوض المورود .

التَمهيد

ما من شك في أن العصر الذي بعث فيه النبي كان عصر الفصاحة والبلاغة الفطرية ، والمهارة اللغوية لدى العرب،وهو أرقى عصور اللغة العربية من حيث امتلاك أبنائها زمامها تحدثا وشعرا وفصاحة وبلاغة. وما نعرفه عن منتدياتهم الشعرية – إن جاز التعبير– دليل على ذلك ؛ فلم يعلم أن أمة كانت تقيم للكلمة المنطوقة سوقا يتبارى فيه الشعراء غير هذه الأمة ،وأكثر دلالةً منه نزولُ القرآن الكريم متحديا إياهم أن يأتوا بمثله،ثم بعشر سور مثله مفتريات ، ثم بسورة ، ومعلوم أن أهم شروط المعجزة:أن تكون من جنس ما نبغ فيه القوم .

ويمكننا القول:إن الجماعة اللغوية العربية في عصر ما قبل الإسلام وعصر النبوة قد توافقت على سلوك لغوي مكنها من استعمال اللغة على نحو فصيح، وإن اختلفت لهجاتها، فاختلاف لهجات الجماعة اللغوية العربية لا ينقض هذا التوافق في السلوك اللغوي العربي لتلك الجماعة آنذاك.

واللهجة المقصودة هنا ليست تلك المقابلة للمستوى الفصيح من الاستعمال اللغوي لأية لغة، بل اللهجة عند الجماعة العربية حينذاك تعني اللغة الفصيحة . فلهجات العرب:أي لغاتها الفصيحة.هذا ما أكده الحديث الشريف المشهور « **أنزل القرآن على سبعة أحرف**«[٦]

وقد فسر كثير من العلماء أن المراد بالأحرف السبعة التي أنزل

عليها القرآن الكريم لغاتُ العرب الفصيحة ؛ فعن ابن عباس– رضي الله عنهما– قال:» أنزل القرآن على سبع لغات، منها خمسة بلغة العجز من هوازن . قال : والعجز : سعد بن بكر، وجشم بن بكر ، ونصر بن معاوية ، وثقيف ، وهؤلاء كلهم من هوازن ، ويقال لهم عُلَيا هوازن ، ولهذا قال أبو عمرو بن العلاء : أفصح العرب عُلْيا هوازن وسُفْلى تميم، يعني بني دارم « [٧].

ونزول القرآن على هذه اللهجات أو اللغات الفصيحة دليل دامغ على أنها جميعها قد وصلت إلى مستوى مثالي في السلوك اللغوي بين أفرادها ، أقره القرآن الكريم ونزل به، بل تحداهم فيه أيضا ، ولو لم يكونوا كذلك لما تحداهم القرآن الكريم .

ويبدو، للباحث ، أن الجماعة اللغوية العربية تلك تتميز بهذا عن أية جماعة أخرى ؛ ذلك أن اللهجات في اللغات الأخرى منها الفصيح ومنها غير الفصيح ، بل أغلبها ينتمي إلى غير الفصيح حتى في عصور رقيها وازدهارها ، أما الجماعة العربية التي نزل فيها القرآن الكريم فقد كانت لهجاتها أو لغاتها فصيحة [٨] .

ونستطيع ،إذن،أن نزعم أن الجماعة اللغوية العربية آنذاك قد كانت متجانسة في سلوكها اللغوي بقدر كبير وإن لم يكن تاما فلا نستطيع أن نزعم أن التجانس والتوافق كانا تامين مطلقين، فهذا الأمر تنقضه البديهة، ولذا لم يؤد هذا التجانس أو التوافق إلى إهمال التنوع والتفرد في السلوك اللغوي بين أفراد هذه الجماعة، ونظرة على شعر شعراء المعلقات تكشف عن هذا التنوع والتفرد في السلوك

اللغوي لهؤلاء الشعراء،وهذا ما كشفت عنه دراسة أسلوبية لشعر هؤلاء الشعراء[٩] .

ورسول الله كان فردا من أفراد هذه الجماعة ، وسلوكه اللغوي في حديثة الشريف جزء من السلوك اللغوي لهذه الجماعة آنذاك. إنه سلوك لغوي أقرب إلى أسلوب عصر النبوة منه إلى أسلوب القرآن. ويحاول الرافعي، في إيجاز ، أن يصف فصاحة كلام النبوة وبلاغته وتبيان مكانته فيقول:»**وإذا أراك القرآن أنه خطاب السماء للأرض،أراك هذا أنه كلام الأرض بعد السماء**»[١٠].

وجميع شهادات البلاغيين ، فيما نعلم ، ترقى بكلام النبوة إلى المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم في الفصاحة والبلاغة ،على الرغم من أنه لم يكن يعني الإبداع الأدبي قصدا ، ولم يكن صنعة كما يصنع الشعراء والكتاب ، فينظرون فيما كتبوا ، فينقحون ، ويثبتون، ويحذفون ويضيفون مثبتين ما يختارون على ما يستبعدون ، فيأتي كلامهم بليغا ومتكلفا ، وإنما كان كلامه طبعا وفطرة أصيلة يصدر عن تلقاء نفسه واختيار ذهنه وفكره مؤيدا بالوحي .

ولا نعلم أن هذه الفصاحة قد كانت له ﷺ إلا " **توفيقا من الله وتوقيفا** « [١١] ،وكيف لا ؟ وقد كَمُلَتْ فيه أداتها خِلْقةً ، وآلتها طَبْعا، يرفدهما التأييد بالوحي ، فكان مما وُصِف به رسول الله :» **أنه كان ضليع الفم** « [١٢]، أي: واسع الفم ، ومما وَصَفَ رسول الله ﷺ نفسه به قوله: " **بُعِثْتُ بجوامع الكَلِم** « [١٣] ،**فكان كأنما ألفاظ اللغة قد أفضت إليه بأسرارها ، وكاشفته بحقائقها،وكأنما** [كما وصف

الرافعي] « **قد وضع يده على قلب اللغة ينبض تحت أصابعه** »[١٤]، « فيخاطب كل قوم بلحنهم وعلى مذهبهم ، ثم لا يكون إلا أفصحهم خطابا وأسدهم لفظا وأبينهم عبارة ، ولم يعرف ذلك لغيره من العرب، ولو عرف لقد كانوا نقلوه وتحدثوا به ، واستفاض فيهم» [١٥].

لعل هذا كان مصدر عجب بعض صحابته–رضوان الله عليهم – كما جاء في قولهم له :» **يا رسول الله! كأنك كنت ترعى بالبادية!**»[١٦].

وإذا تعلق الأمر بالنشأة اللغوية للنبي الكريم ﷺ ،فإنه قد"تقلب في أفصح القبائل وأخلصها منطقا وأعذبها بيانا،فكان مولده في بني هاشم وأخواله من بني زهرة، ورضاعه في بني سعد بن بكر ومنشأه في قريش، ومتزوّجه في بني أسد ،ومهاجرته إلى بني عمرو ، وهم الأوس والخزرج،ولم يخرج عن هؤلاء في النشأة واللغة ، ولقد كان في قريش وبني سعد وحدهم ما يقوم بالعرب جملةً ، ولذا قال ﷺ" **أنا أفصح العرب بيد أني من قريش، ونشأت في بني سعد بن بكر**»[١٧].

أقول: إذا كان تعلق أمر فصاحته بالنشأة اللغوية ، وهو أمر صحيح، فإننا نرى جانبا آخر أهم ينطق به قوله –تعالى– مُمْتَنًّا على رسوله الكريم ﷺ :**(وَكَانَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا)**[النساء/١١٣] فلم يُعْلَمْ – يقينا حق يقين أنه ﷺ تعلم شيئا عن العرب، ولا كان لهم علم بدراسة الفوارق البلاغية بين الألفاظ، أو في التراكيب، أو في الصور والأخيلة ، بل لم يكن لأحد من قومه شيء من هذا القبيل

دراسة وتعلما؛ فقد كانت ثقافة القوم ثقافة سماعية ، ينطلقون في لغتهم وأشعارهم وبيانهم عن حس لغوي وبلاغي فطري،وإن اختلف هذا الإحساس من فرد إلى آخر.

الحديث النبوي والثقافة الشفاهية:

وعلى الرغم من أن « **الحديث** «– كما ينبئ عنه مدلوله اللغوي– يتناول الكلام العادي الذي يجري بين الناس في مخاطباتهم اليومية،وهو لايستدعي فكراً عميقا، وقصدا أدبيا،فإن» أحاديث الرسولﷺ –وإن كانت فيض الخاطر ،وعفو البديهة – يبدو عليها أثر الإلهام(الوحي)،وسمة العبقرية ، وطابع البلاغة "[١٨]،على الرغم من أنها تنتمي إلى الإبداع الشفاهي–إن صح التعبير– أو إلى الثقافة الشفاهية الخالصة،وليس هناك ما يناقض أن تحقق بعض هذه الثقافات الشفاهية ، التي لم تكن تكتب إبداعاتها،مستوى أدبيا رفيعاً وأول هذه الثقافات الشفاهية:الثقافة العربية على عهده ﷺ " فالثقافة العربية ثقافة شفهية الأصل ، ومتحولة إلى كتابية منذ مطلع الإسلام إلى اليوم "[١٩].

ولقد برهن « بعض الباحثين على أن الثقافات الخالصة الشفاهية يمكن أن تولد أشكالاً فنية للقول ، فيها حذق ومهارة « [٢٠]،وإذا كان حديثه ﷺ لا يحتاج إلى تلك البرهنة ، ففصاحته وبلاغته أمر يقر به أعداؤه قبل أتباعه ، ولذا افتخر ﷺ فخر المتواضعين على العرب جميعاً ، كما في الحديث السالف ، وكما في قوله : " **أنا أفصح من نطق بالضاد** « [٢١] وقوله :» **أنا أفصحكم** « [٢٢]، ولم يُذْكَرْ أن أحداً

قد أنكر عليه ذلك .

ولقد كان كلامه – ﷺ**وهو كلام شفاهي منطوق** فحسب– يسمعه المسلمون فتكون له عندهم قوة القانون المحرك والمسيطر،لا بل الملزم أيضاً، بل حتى إشاراته ﷺ [٢٣] فلقد كانت كلماته ، ولم تكن إلا منطوقة،ذات قوة تأثير سحرية–إن جاز التعبير–وهكذا الكلمة في الثقافة الشِّفاهية[٢٤] ، ولاسيما إن صدرت من قِبَل رسول الله ﷺ.

ونعتقد أن مصدر قوة الكلمة عنده ﷺ راجع إلى عدة أمور:

الأول:بلاغته وفصاحته .

و**ثانيها:**شخصيته التي تفرض سلطانها على من يسمعه.

وثالثها:الأمر الإلهي بتعظيم قوله ﷺ،والأخذ به وعدم الاعتراض عليه،لأنه رسول مؤيد بالوحي.قال تعالى:(فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا) [النساء/٦٥] [٢٥].

وإن كان الحديث النبوي الشريف،في الأصل،نصاً شفهيا أي منطوقاً،إلا أنه صار بعد تدوينه نصاً مكتوباً،بل أصبح بين أيدينا! ومن المستحيل استعادته.**ولا خلاف على أن بلاغة المتكلم يدخل فيها–إضافة إلى فنيات الكلام وبلاغته–طريقة الأداء،والتعبيرات الجسدية والإشارات ونظرات العينين،ونبرة الكلام ونغمته،وإيقاعه الحي الحياتي والانفعال والترديد أو التكرار.**

وهي كلها أدوات بلاغية تصاحب التعبير بالكلمات المنطوقة،ولها دورها الهام في عملية التواصل اللغوي الفعال،وعليها يتوقف المغزى

من الكلام المنطوق؛ فبما يسميه ابن سينا نبرة الكلام يتحدد طابع الجملة إن كان نداء أو تعجبا أو سؤالا ،[٢٦]؛فإن كلمة واحدة مثل:»**يا سلام**»، بحسب هذه الوسائل المصاحبة للتعبير الكلامي كالنبر أو التنغيم ، يمكن أن يُفهم منها –على حسب الموقف والسياق – معنى الاعتراض ، أو معنى الاستحسان ، أو حتى الرفض ، أو المناجاة . وللهجة الكلام ونبره وتنغيمه أو طريقة إلقائه أثرها الفعّال في تحقيق التأثير والاستمالة والإقناع ، **ولعلنا نذكر أن بالي قد اهتم بالكلام المنطوق أو « الكلام العادي « ، بل كان يرى أنه « أجدر بدراسة اللغوي من التعبيرات الأدبية المنتقاة** « [٢٧]، وكم كنا نتمنى أن نستطيع أن ندرس حديثه ﷺأسلوبيا على أساسه المنطوق ، ولكن ، أنّى لنا ذلك والحديث وصل إلينا مكتوبا ، فافتقد كثيراً من الوسائل البلاغية المصاحبة لبلاغة الكلام ؟!

وإذا حاولنا أن نضرب مثلا قد تساعدنا بعض الأحاديث . وخذ، مثلا ، حديثه ﷺ الذي رفض فيه زواج على بن أبي طالب– كرم الله وجهه– من بنت أبي جهل ، على فاطمة الزهراء – رضي الله عنها– فصعد المنبر وقال :" **إن بني هشام بن المغيرة استأذنوا في أن ينكحوا ابنتهم على بن أبي طالب،فلا آذن،ثم لا آذن ،ثم لا آذن،إلا أن يريد ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي، وينكح ابنتهم ، فإنما هي بضعة مني، يريبني ما أرابها،ويؤذيني ما آذاها**» [٢٨].

ولاشك أن نبرة الكلام (الضغط على بعض الكلمات أو الجمل أو المقاطع) قد كانت حادة،والنبر من «مظاهر الدلالة الصوتية؛فقد

تتغير الدلالة باختلاف موقعه من الكلمة أو باختلاف موقعه من الجملة»[٢٩]؛ فلا شك أن طريقة الأداء في قوله « فلا آذن» ثم تكراره لم تكن هادئة على الإطلاق ،بل فيها حرارة وانفعال ، وإثارة. حاولْ أن تتخيل نبرة و ملامح وجهه eأثناء نطق هذه الجملة المكرَّرة ثلاثا. مع ما توحي به من حسم وقطع – مَنَّ الله علينا برؤياه – ثم حاول أن تتخيل هذه الملامح وهو يقول : " **إلا أن يريد ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي** « . وقد حذف أو أسقط اسم عليّ – كرم الله وجهه – ويشير إليه بابن أبي طالب ، وكأن لهجته لهجة تحذير وإشعار بزوال مكانته إن هو أقدم على هذه الخطوة . فتصبح العلاقة علاقة نسب . ثم لنتخيل كيفية نطقه عليه الصلاة و السلام بخاتمة الحديث « فإنما هي بضعة مني ...» فمن اليقين أن نغمتها لم تكن كتلك التي كانت في قوله « فلا آذن ...» .

طريقتهﷺ في إلقاء الكلام /الحديث

ويدلنا على أنه ﷺ كانت له طريقة خاصة في إلقاء الكلام أو الحديث ، تختلف عن طريقة معاصريه ، حديثُ عائشة–رضي الله عنها– وقد سمعت أبا هريرة [٣٠]–رضي الله عنه– يسرد الحديث، « أي يتابع الحديث استعجالا بعضه إثر بعض[٣١] ،فأنكرت عليه قائلة:»إن رسول الله ﷺ لم يكن يسرد الحديث كسردكم" [٣٢] ، ووصفت طريقته eفي الحديث بقولها:" إن النبي كان يحدّث حديثا لوعدّه العادُّ لأحصاه "[٣٣]، تريد بذلك أنه ﷺ كان يتحدث حديثا " فَصْلا ، فهما تفهمه القلوب"[٣٤] وتحفظه الذاكرة بحيثُ لو حاول

المرء « عدّ كلماته أو مفرداته أو حروفَه لأطاق ذلك وبلغ آخرها، والمراد بذلك المبالغة في الترتيل والتفهيم « . [٣٥] ويقينا أن تلك الطريقة كانت ذات تأثير فائق في نفوس متلقيه ، وفي حفظهم حديثه بلفظه – في أغلبه .

هذه الطريقة النبوية تُعنى عناية كبيرة بإيقاع الكلام ووقعه على الأذن أو موسيقاه. هذا ما يفهم من إنكار عائشة–رضي الله عنها–على أبي هريرة سَرْدَهُ الكلامَ سَرْدًا واستعجالَه فيه،ومن وصفها كلامَه بأن متلقيه يسهل عليه عَدُّ كلماته وتَبَيُّنُ حروفه ومقاطعه .

والرسول كان جزءا من الجماعة العربية التي أدركت قيمة الصوت في حياتها متأثرة بالبيئة الصحراوية التي تفاعلت معها حاسة السمع ؛"فأصبحت أكثر حساسية في تمييز دقائق الأصوات؛لأميتها التي جعلتها تعتمد علي حاسة السمع اعتمادا كبيرا في التعليم والتلقين؛ لهذا لم تدرك اللغة إلا في شكلها المسموع ،وقد تمثل ذلك في أدائهم الكلامي الذي تميز بثلاث سمات :الجهارة أي علو الصوت،والفصاحة بمعنى وضوح النطق وطلاقته من جهة،وسهولة المنطوق علي اللغات وقبوله من الأذن من جهة أخرى،والإيقاع بمعنى التناسب الصوتي»[٣٦]،وهو يقوم على مبدأ النظام الذى يعززه مبدأ التناسب ،أي تناسب العناصر الإيقاعية التي تعطينا الإحساس بالجمال،وهو تناسب يتشكل في إطار زمني ،وعلي ذلك فالإيقاع تنظيم زمني للحركة[٣٧] .

ولقد اهتم العرب بإيقاع الكلام أو موسيقاه، كما اهتموا

بالمعانى،وإن كانت المعاني مُقَدَّمَةً عندهم؛وذلك أن العرب–كما يقول ابن جني–» كما تعنى بألفاظها فتصلحها وتهذبها وتراعيها وتلاحظ أحكامها بالشعر تارة وبالخطب أخرى وبالأسجاع التي تلتزمها وتتكلف استمرارها؛فإن المعاني أقوى عندها وأكرم عليها وأفخم قدرا في نفوسها، **فأول ذلك عنايتها بألفاظها؛ فإنها لما كانت عنوان معانيها ،وطريقا إلى إظهار أغراضها ومراميها، أصلحوها، ورتبوها، وبالغوا في تحبيرها وتحسينها؛ ليكون ذلك أوقع لها في السمع، وأذهب بها في الدلالة على القصد؛ألا ترى أن المثل إذا كان مسجوعا لذ لسامعه؛ فحفظه ،فإذا هو حفظه، كان جديرا باستعماله، ولو لم يكن مسجوعا، لم تأنس النفس به، ولا أنقت لمستمعه، وإذا كان كذلك لم تحفظه ، وإذا لم تحفظه لم تطالب أنفسها باستعمال ما وضع له، وجيء به من أجله** «[٣٨] .

وابن جني يشير بوضوح، في هذا النص ،إلي الطابع الصوتي أو الإيقاعي للغة العربية ؛ **فكثير من أبوب الأداء الكلامي العربي ترجع إلي اللفظ من حيث الجرس والإيقاع كالتجنيس والطباق والسجع والتصريع والتكرار**[٣٩]**، بل وصفها كثير من الباحثين بأنها لغة موسيقية** ،وهذا ما «مكَّن الخليل بن أحمد وغيره من اللغويين والنحاة من ضبط ألفاظ اللغة أسماء وأفعالا في قوالب أو أبنية صرفية ذات إيقاع متواتر كما تمكن الخليل بن احمد وغيره من ضبط أبيات الشعر بأوزان تكشف عن الأساس الصوتي الذي بنيت عليه»[٤٠] .

وقد امتدت هذه الموسيقية إلي النثر؛ ولذلك نرى الجماعة العربية الأولى اهتمت في أدائها الكلامي بالسجع لأثره الفعال في نفوس المتلقين ،من حيث تسهيله الحفظ ،ومن حيث أثره النفسي على المتلقين .

وهذه الظواهر الصوتية –**وهى ظواهر صوتية إيقاعية، اهتمت بها الجماعة العربية الأولى في أدائها الكلامي المنطوق**–إن تعلقت في المقام الأول باللفظ ،**إلا أن قيمتها الصوتية تأتى من خلال تفاعل الوحدات الصرفية (الألفاظ) في مواقعها ،فيما بينها، على أنها جزء من التركيب الذي يأتي ثمرة لتفاعل الدلالة التي يتوخاها المنشئ من كلامه، في نفسه، والتي تحمله على أن يختار من إمكانات اللغة في الدلالة والتركيب والإيقاع والحقيقة والمجاز والترادف والتضاد والمقابلة والتجانس وغيرها من وسائل التعبير الفني ما يعبر أدق تعبير وأصدقه وأوفاه بما أراد المنشئ التعبير عنه** (٤١) .

وتتمثل موسيقى اللفظ وإيقاعه، في حديث النبي ﷺ المروي بلفظه على مستوى اللفظ في ظاهرتي:الجناس والطباق،وعلى مستوى الجملة في السجع، وهو ما سنتناوله بالتطبيق على أحاديث الإمام الليث بن سعد في الكتب الستة الصحاح (٤٢) **كأنموذج للحديث النبوي الشريف، في الفصول التالية.**

الفصل الأول

الجناس
ظاهرة موسيقية

الجناس[٤٣] **ظاهرة موسيقية**، تنبع من تردُّد الألفاظ المتشابهة أو المتماثلة الإيقاع على السمع؛ مما يثير المتلقي، وينشط **ذهنه؛ لإدراك الفروق الدلالية بين هذه الألفاظ التي** توالت متماثلة أو متشابهة في إيقاعها وجرسها ولفظها.

وقد أدرك العربي هذه الظاهرة الموسيقية بحسه الفطري، وأذنه المرهفة، ولذلك ،لا نعجب إن رأينا بعض علماء البلاغة، ولاسيما المتأخرون منهم، يُعْنَون بهذه الظاهرة الموسيقية عناية فائقة ،حتى أَلَّفُوا فيها الكتب المستقلة.

ومن أوائل من أَلَّف في الجناس كتاباً مستقلاً الأصمعيُّ ، فله كتاب «الأجناس»، **وأبو منصور الثعالبي؛ فله كتابان في الجناس أولهما** «أجناس التجنيس»[٤٥] وثانيهما: «**الأنيس في غرر التجنيس**[٤٦] ،ثم صلاح الدين الصفدى في كتابه «**جنان الجناس في علم البديع**»[٤٧] وجلال الدين السيوطي في كتابه «**جنى الجناس**»[٤٨].

ولأن الجناس يعتمد على الجانب الصوتي المعتمد على تكرار كلمتين متجانستين تجانساً إما تاماً أو ناقصاً، بينهما فاصل زمني قد يطول أو يقصر بحسب عدد الكلمات ما بين الكلمتين المتجانستين فقد جعله البلاغيون من المحسنات اللفظية.

ويبدو أنهم كانوا يعنون بجعله تحت هذا المصطلح أنه فن يعتمد على الجانب الصوتي، «وما الجانب الصوتي إلا الإيقاع أو النغم، أو الترديد الموسيقى؛ فالكلمتان المتجانستان تجانساً تاماً هما في الواقع إيقاعان موسيقيان ترددا في مساحة البيت الشعري أو

الآية القرآنية أو الجملة النثرية البشرية، وكذا الكلمتان المتجانستان تجانساً ناقصاً، فالنقص في الجناس الناقص يلبى حاجة النفس إلى الإيقاع المتباين، كما يلبى الجناس التام حاجتها إلى الإيقاع الواحد المتكرر»[٤٩].

معيار جودة الجناس

وإذا كان الإيقاع أو الجرس الموسيقى للفظ هو الأساس في فن الجناس؛ فإن ذلك لا يكون له قيمة فنية أو بلاغية إلا مع الوفاء بالمعنى، وإلا تحول الجناس إلى إيقاع صوتي فارغ، وهو ما ليس الأدب مجاله .

وهو ما أكد عليه عبد القاهر الجرجاني؛ إذ جعل شرط الحسن للجناس أن يحمل إلى جانب الجرس والإيقاع فائدة معنوية؛ بحيث ترى المنشئ «قد أعاد عليك اللفظة، كأنه يخدعك عن الفائدة وقد أعطاها، ويوهمك كأنه لم يزدك وقد أحسن الزيادة، ووفاها»[٥٠] –حين وضع معيار الجودة للسجع والجناس، والذي يتمثل في أمرين :

الأول : طلبُ المعنى اللفظ، واستدعاؤه إياه.

الثاني: صحة الاختيار ودقته، بمعنى عدم وجود لفظ آخر أدق منه في مكانه وأنسب[٥١].

وقد أكّده مرة أخرى؛حيث ذكر «أن العارفين بجواهر الكلام، لا يُعرِّجون على هذا الفن إلا بعد الثقة بسلامة المعنى وصحته، وإلا حيث يأمنون جناية منه عليه، وانتقاصاً له وتعويقاً دونه»[٥٢].

فالقول الفصل، إذن، في هذه الفنون البديعة هو أن يتطلبه المعنى، **بحيث يقع في كلام البليغ «من غير قصد منه إلى اجتلابه، وتأهب لطلبه»**[٥٣]، **وبحيث ترى «المتكلم لم يقد المعنى نحو التجنيس والسجع، بل قاده المعنى إليهما، وعبر به الفَرَق عليهما**[٥٤]، حتى إنه لو رَامَ تركهما، إلى خلافهما، مما لا تجنيس فيه ولا سجع، لدخل من عقوق المعنى، وإدخال الوحشة عليه في شَبِيه بما يُنْسَبُ إليه المتكلِّف للتجنيس المستكرَه والسجع النافر، **ولن تجد أيمن طائراً، وأحسن أولاً وآخراً، وأهدى إلى الإحسان وأجلب للاستحسان من أن ترسل المعاني على سجيتها وتدعها تطلب لأنفسها الألفاظ»**[٥٥].

وتكمن القيمة الفنية للجناس في **قيمته الموسيقية والفنية معاً**، ونعنى **بالقيمة الموسيقية:** النغم المتماثل أو المتشابه الذي ينبع من حروف الكلمتين،ولاسيما إذا اتحدت الكلمتان أو اللفظان في الأصوات جميعاً بترتيبها وتشكيلها أو **لنقل: بإيقاعها ونغمها**، فاتفقت النغمتان وزناً وصوتاً ونطقاً.

هذا النغم الموسيقى يزداد تأثيره أو يقوى، أو يقل ويضعف على قدر التشابه بين الكلمتين المتجانستين، فيعظم التأثير في الجناس التام، ويقل في غيره، وإن كان «يمكن الإحساس بالنغم الموسيقى لبقية أنواع الجناس؛ لأنها تعتمد في محورها تشابه بعض الحروف، سواء اختلفت مواقعها أو شكل ضبطها»[٥٦].

أما **القيمة الفنية**، فنعنى بها القيمة المعنوية التي يحملها الجناس؛ فليس الأمر مجرد **تكرار نغمى أو ترديد كلمات متفقة**

الإيقاع والأصوات، وإنما ما يحققه الجناس من القدرة العالية على إثارة الذهن، وشحذ القريحة، حيث ترد عليك الكلمة الثانية، فتظن، لأول وهلة، أنها هي التي مرت، فإذا تدبرت المعنى، وجدت الأمر على خلاف ذلك: كأن اللفظ يريد أن يوهمك أنه هو، فإذا ما أرهفت السمع، وأمعنت النظر، علمت ما حصل لك من الإثارة والدهشة والفائدة التي حققها الجناس.هذا هو الذي ألمح إليه عبد القاهر في قوله: «واعلم أن النكتة التي ذكرتها في التجنيس، وجعلتها العِلّة في استجابة الفضيلة، **وهى حسن الإفادة، مع أن الصورة صورة التكرير والإعادة**، وإن كانت لا تظهر الظهور التام الذي لا يمكن دفعه إلا في المستوفي المتفق الصورة منه! كقوله :

ما مات من كَرَمِ الزَّمان فإنه * يحيا لدى يحيى بن عبد الله**

أو المَرْفُوّ الجاري هذا المجرى؛ كقوله: «**أو دعاني أمت بما أودعاني**»؛ فقد يتصور في غير ذلك من أقسامه أيضاً «[٥٧].

ولعل تلك القيمة الموسيقية أو الظاهرة الموسيقية[٥٨] التي لوحظت في الجناس هي التي دفعت بعض الدارسين إلى محاولة **تعريف الجناس تعريفاً يعتمد هذه السمة الموسيقية فيه**، ومن أوائل من أشار إلى ذلك د/ إبراهيم أنيس؛ حيث قال: إن الجناس عبارة عن «تردد الأصوات المتماثلة أو المتقاربة في مواضع مختلفة من البيت الواحد»[٥٩].

وفي تعريف آخر يستعير من الموسيقى بعض مصطلحاتها يقول د/مصطفي الصاوي الجوينى:هو «**نوع من التنويع الموسيقى على**

اللحن الأساسي؛ لتقارب مادي للفظتين من معنى واحد»[٦٠]، وفي تعريف أوجز: هو عبارة عن»**مقطعين صوتيين متفقين في الإيقاع مختلفين في المدلول»**[٦١].

على أن التعريف الأخير أوضح دلالة على أهمية القيمة الفنية أو المعنوية للجناس، **فلا مفر لحسن موسيقا الجناس من أن تقترن هذه الموسيقا «بنصرة المعنى، إذ لو كان باللفظ وحده، لما كان فيه مستحسن، ولما وجد فيه إلا معيب مستهجن، ولذلك ذم الاستكثار منه والولوع به»**[٦٢].

ونصرة المعنى في الجناس– بمعنى ألا يتحول اللفظان إلى مجرد تكرار أو ترداد أصوات– أمر لا يدرك إلا من خلال السياق[٦٣]؛ فحينما تتردد كلمة «الساعة» بإيقاعها وموسيقاها في قوله تعالى:{ **وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ**{(الروم/٥٥)؛ فإن السياق هو الذي يعيننا على فهم المعنى المراد من الوحدة النغمية الأولى والثانية(الساعة)،ولاسيما أن الكلمتين متماثلتان إيقاعاً ونطقاً، **وبالسياق تدرك أن «الساعة»الأولى تعنى يوم القيامة، وأن الثانية تعنى الدلالة على قدر يسير جداً من الوقت.**

واختيار «الساعة» دلالة على يوم القيامة، ليس لمجرد إحداث الجناس، بل له دلالة أخرى، هي لفت النظر إلى أن ذلك الحدث العظيم له ساعة محددة أو وقت محدد سيحدث فيه، وأن أعماركم الطويلة هذه–أو التي تظنونها هكذا– إن هي إلا سويعات متتالية

مؤدية إلى الساعة الحقيقية التي يُرَدُّ المرء فيها إلى خالقه ؛ ليحاسبه على ما اقترفت يداه.

هذه القيمة المعنوية للجناس في هذه الآية تتساوى مع القيمة الموسيقية التي نبعت من تماثل الإيقاع بين الكلمتين؛ حيث ترد الثانية بعد فاصل من الكلمات بنفس نطق الأولى وإيقاعها؛ **مما يثير الأذن؛ فترهف السمع، ويتحرك الذهن الذي أثاره هذا الإيقاع المتماثل ليعرف:هل الكلمتان برغم اتحادهما الصوتي والنغمي بمعنى واحد؛ وما دلالة الأولى؟ وهل تغاير دلالة الثانية الأولى؟ وهل يشير الفاصل الزمني القصير بين الكلمتين في السياق إلى شيء؟**

لعله يشير إلى المدى الزمني القصير الذي يفصل الحياة الدنيا عن قيام الساعة، وإذا كان الفاصل الزمني الذي يشير إلي إحساس الإنسان بقصر عمره في الدنيا حال قيام يوم القيامة، ؛ فإن أدق ما يصور هذا الإحساس ويجسده ويوحي به هو كلمة «الساعة» بمدلولها الزمني القصير، حتى ليعدو كونه ساعة من نهار، وربما ثواني معدودة، قصيراً جداً

وعلى ذا، فالذي تطلب ترديدها ثانية **ليس مجرد التوافق اللفظي أو إحداث لذة صوتية تستمتع بها الأذن، ونسميها في علم البلاغة بالجناس، بل إن المعنى أو الدلالة المرجوة هو الذي تطلب اللفظ وقاد إليه.**

ولقد نهل رسول الله ﷺ من هذه البلاغة القرآنية، فجاء الجناس

على هذه الشاكلة، وإن كان الفارق بين كلامهﷺ وبين القرآن هو الفرق بين عظمة الخالق وعظمة المخلوق، لكن، **ما مدى شيوع هذه السمة الأسلوبية في أحاديث الإمام الليث بن سعد ؟ وكيف جاءت؟**

بالنظر إلى الإحصاء الذي أجراه الباحث على أحاديث الليث في الكتب الستة الصحاح عن الجناس، **تبين أنه ورد في واحد وعشرين حديثاً** (٦٤)، وأن ما ورد فيها من جناس كان من الجناس غير التام أو الناقص. **ويمكن أن يدل ذلك على أن الجناس :**

أولاً:لم يكن أثيراً عنده ﷺ؛ فنسبة وروده تلك بمقارنتها بنسبة عدد الأحاديث المروية بلفظها في الكتب الستة، وهى نسبة(٣,١٤٪) ،تدل على أنه كان نادراً في كلامه ﷺ .

ثانياً:أن كون مجيئه جميعه من الجناس غير التام يعتبر ذا دلالة أخرى على عدم قصديته إلى الجناس.وهذا يستلزم، منطقياً،أن الجناس كان يرد عنده عفو الخاطر غير متعمد، ولا مقصود إليه، بل يقوده معناه.

وقد ورد الجناس في موضوعات متنوعة، منها الطهارة، والجهاد، وفي بيان الفرق بين المسلم والمؤمن، وفي بيان حكم شرعي، وكذلك في الدعاء وهو ما تمثله الأحاديث التالية، على الترتيب :

قولهﷺ: "من غَسَل **رأسه يوم الجمعة** واغتسل، **ثم** بكّر وابتكر، **ومشى ولم يركب، ودنا من الإمام فاستمع، ولم يلغ كان له بكل خطوة عمل سنة: أجر صيامها وقيامها»**(٦٥).وروى أوله بلفظ «من **غسّل** يوم الجمعة و**اغتسل**»(٦٦).

وقوله ﷺ: "**الخيل** في نواصيها **الخير** إلى يوم القيامة»[٦٧].

وقوله ﷺ: "**المسلم** من **سلم** الناس من لسانه ويده، و**المؤمن** من **أمنه** الناس على دمائهم وأموالهم»[٦٨].

وقولهﷺ: "ألا أخبركم بالتيس المستعار؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: هو المحلل، لعن الله **المحلِّل والمحلَّلَ** له»[٦٩].

وقولهﷺ: "فإن **قَتَلْتَ**؛ ففي الجنة، وإن **قُتِلْتَ** ففي النار»[٧٠].

وقولهﷺ: "اللهم العن بني **لحيان، ورعلاً وذكوان**، وعصية عصوا **الله ورسوله**. غفار غفر **الله لها**، وأسلم سالمها **الله**»[٧١].

أولاً: ما ورد من جناس في الطهارة :

الحديث الأول في الطهارة، والجناس فيه بين «غسل» و»اغتسل»، وهو جناس ناقص؛ لزيادة الألف والتاء في «اغتسل»، وهو جناس لم يرد؛ لمجرد التوافق اللفظي أو لجرس الألفاظ؛ **فأما «اغتسل» فمعلومة، وأما «غسل» فقد روى مخففاً ومشدداً**[٧٢].

وليس في رواية الحديث بلفظ «**من غسّل يوم الجمعة واغتسل**» إشكال؛ «فغسل» مشدداً الرأي الراجح فيه ،لدى،معناه «جامع امرأته؛ لأنه إذا جامعها أحوجها إلى الغسل»[٧٣]، وهذا مع رواية التشديد، أظهر، وأوضح؛ ولا إشكال فيه؛ فالصيغة تدل عليه؛ إذ هى تتعدى إلى الغير.

أما رواية «من غسَل يوم الجمعة واغتسل» أي بالتخفيف، فالأقوى، في الدلالة أن ينصب الفعل على المسلم نفسه، وعليه توجّه رواية «من غسل رأسه»، فتكون من باب ذكر الخاص أولاً ثم العام؛

وذلك يُمْكِن أن يُقَوِّيه تفسيرُ ابن عباس ﷺ كيفيةَ بدء الغسل؛ فقد ذكر أن الناس كانوا مَجْهُودِين، فكان يكون لهم رائحة غير طيبة؛ فقيل لهم: لو اغتسلتم وتطيَّبْتم [٧٤].

ومعنى هذا أن رواية التخفيف تدل على أن الرسول ﷺ قد يكون أمر بغسل الرأس تحديداً؛ لكون شعر الرأس إذا كثر حَوَى من الأتربة عند اشتداد الحر، فيعرق الناس؛ فيتأذى المسلمون من هذه الرائحة الكريهة في المسجد، أو يكون على هيئة غير صالحة، فأمر بغسلها ومن ثم تصفيفها.

ويحتمل لفظ التخفيف في رواية «من غسل يوم الجمعة واغتسل» الدلالة على المعنى الأول بطريق **المفهوم لا الملفوظ المحذوف أدباً وحياء منه**ﷺ **الذي هو متعلق بالمرأة**؛ فإن الصحابة يعلمون يقيناً فصاحة الرسول ﷺ وبلاغته.

وذكر الفعل، وهو متعد، وحذف ما تعلق به من مفعول أو غيره؛ **للدلالة على ما أحجم النبي عن الإفصاح عنه ثقة بفطنة متلقيه الأوائل**، ومن دلالة الفعل «اغتسل» الوارد بعده بطريق الإيحاء والرمز، **ولا يُتَعجَّل على الباحث؛ فإن عائشة-رضي الله-عنها تقول واصفةً حالها مع رسول الله ﷺ كزوج وزوجة:»كنت أغتسل أنا ورسول الله ﷺ من إناء واحد»**[٧٥]،وفي رواية عن عروة بن الزبير :»أنها أخبرته:أنها **كانت تغتسل مع رسول الله ﷺ في الإناء الواحد"**[٧٦].

ورواية التشديد التي خلاصتها أن الزوج يكون سبباً في غسل

امرأته لمجامعته إياها، ومن ثم يغتسل هو أيضاً؛ لإذهاب الجنابة؛ ففيه، إذن، إشارة إلى الجماع يوم الجمعة؛ ليغتسل فيه من الجنابة ،والحكمة فيه أن تسكن نفسه في الرواح إلى الصلاة؛ ولا تمتد عينه إلى شيء يراه، وفيه حمل المرأة أيضاً على الاغتسال ذلك اليوم، **وهذا الرأي اختاره ابن حجر وذكر أن ابن قدامة حكاه عن أحمد، وأنه ثبت عن جماعة من التابعين**(٧٧)–أقول: رواية التشديد هذه ترجح أن رواية التخفيف يراد بها ما قدمنا، وقد تكون رواية التشديد تالية زمنياً للأولى، فيجوز أن يفطن الرسول ﷺ إلى أن بعض مستمعيه لم يفطنوا إلى مراده، فأظهره برواية التشديد، والله أعلم ،**ويقوى من هذا الفهم رواية أخرى عنه**ﷺ **في هذا الإطار، هي قوله: "من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة..."**(٧٨).

وفي الحديث، أيضاً، جناس آخر بين «**بكّر**» و«**ابتكر**»، وبكر: أي بادر إلى الصلاة للجمعة أو راح في الساعة الأولى، و«ابتكر»: أي أدرك أول الخطبة؛ لأن أول كل شيء باكورته»(٧٩)، فليسا بمعنى واحد، وليسا مجرد لعب باشتقاق الألفاظ، فزيادة المبنى تزيد في المعنى، فالجناس قد طلبه المعنى، وساق إليه. فجاء عفواً غير مقصود إليه.

ثانياً: ما ورد من جناس في الجهاد :

وعلى تلك الشاكلة ترى الجناس في الحديث الثاني، وهو في الجهاد، في قولهﷺ:"**الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة**»؛ فالجناس فيه بين «الخيل» و«الخير» وهو جناس ناقص،

فهل اختيرت كلمة الخير لمجرد إحداث الإيقاع الموسيقى؟ أو هي أدق وصف لمكانة «الخيل» عند العرب؟ من المعلوم أن الخيل قد كانت عند العرب، في ذلك الزمن، رمزاً للخير كله، فعليها يجاهدون، فهي وسيلة الدفاع الأقوى حينئذ } **وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ {(الأنفال: من الآية٦٠.**)وهى مصدر للتجمل والزينة، ووسيلة للتنقل. } وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً {(النحل: من الآية٨) وهى كذلك مصدر للثواب والأجر العظيم في الآخرة، وهى أيضاً قد تكون مغنماً في الدنيا أو وسيلة للمغانم في الجهاد.

وهو ما بَيَّنه رسول الله ﷺ ؛حيث أوضح أن المراد بالخير الأجر في الآخرة، والغنيمة في الدنيا، في رواية أخرى: "**الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة: الأجر والغنيمة**»[٨٠].

والدلالة المُتَوخّاة من اختيار كلمة «الخير» إطماع المسلم في هذا الخير وهو بطبعه يحب الخير ،ويقبل عليه ؛فيجتهد في تحصيل أسباب الخير باقتناء الخيل، إذ هي وسيلة الجهاد الأقوى، وإذا كان الرسول ﷺ قد خاطب الصحابة بما يعرفون وبما يناسب بيئتهم، فإن الخيل،اليوم ،تصبح رمزاً –إضافة إلى دلالة الكلمة الأصلية –لكل وسيلة أو سبب للقوة التي تحقق للمسلم الخير، ومجرد دفع الضر، وإشعار أعداء الإسلام بقوة المسلمين فيه خير لهم، **وعلى ذا فالرسول يحث على امتلاك المسلم كلَّ وسائل القوة المثلي التي تردع أعداء الإسلام من مجرد التفكير في الاعتداء على المسلمين**[٨١].

ثالثا: ما ورد من جناس في بيان الفرق بين المسلم والمؤمن :

وفي بيان الفرق بين المسلم والمؤمن في «الحديث الثالث» تجد جناس الاشتقاق بين «المُسْلِم» و»سَلِمَ»، و»المُؤْمِن» و»أَمِنَه»، فإذا كان اللفظان مشتقين من مادة واحدة، ولهما جرس متقارب موسيقياً، فإن الدلالة لكل منهما تختلف تماماً؛فالمسلم «المراد به: الكامل في إسلامه أو المسلم الحقيقي أو الأفضل إسلاماً، وأما « سلم» فهو من السلامة: أي البرء والنجاة مما ينزل بإسلامه وينقص منه، من أذى الناس بأي أذى، باليد أو باللسان[٨٢].

ففي قوله (من سلم الناس...) دعوة إلى التحلي بخلق الإسلام، وهو السلام؛ فيصير المسلم سلاماً حقيقياً مع كل الناس إلا إذا اعتدى عليه، «والمقصود أن الكمال في الإسلام لا يتحقق بدون هذا، ولا يكون المرء بدون هذا الوصف مسلماً كاملاً، لا أنه إذا تحقق هذا الوصف تحقق هذا الكمال في الإسلام، وإن كان مع ترك الصلاة ونحوها»[٨٤] .

ولعل الأولى «أن يكون المراد بذلك الإشارة إلى حسن معاملة العبد مع ربه؛ لأنه إذا أحسن معاملة إخوانه فأولى أن يحسن معاملة ربه، من التنبيه بالأدنى على الأعلى»[٨٣]، ومثل ذلك في «المؤمن» و»أمنه».

وكان يُمكن للنبيﷺ أن يعبر بالنفي فيقول، مثلاً : «المسلم من لم يؤذ الناس، والمؤمن من لم يخف الناس...» غير أنه قد يتوهم أن المراد نفي الإيذاء القوى أو نوع من الإيذاء أو الخوف يخص

البدن والمال، فحسب، وصيغة النفي هذه لا تدل على السلامة التامة:البدنية والمعنويةأو النفسية، والأمن التام الذي ينبغي أن يشعر به الناس في تعاملهم مع المسلم، إلا أن يُعْتَدى عليه وعلى حرمات المسلمين، وهذا أمر تقره جميع الشرائع والأديان؛ فسلم :أي سلم من كل نوع من أنواع الإيذاء سواء باليد أو باللسان، و»أمن» كذلك: أي من كل خوف وترويع.

رابعاً: ما ورد من جناس في بيان حكم شرعي :

أما الجناس في الحديث الرابع والخامس، فهو وارد في سياق بيان الحكم الشرعي،**وهو تحريم التحايل على شرع الله ممن طلق زوجته ثلاثاً فبانت منه بينونة كبرى وحرمت عليه إلا أن تتزوج زواجاً شرعياً ثم تطلق، أو يموت زوجها الثاني** بأن يحدث اتفاق بين الزوج الأول (المُحَلَّلِ له) ورجل آخر(المُحَلِّل) على أن يتزوجها لفترة ثم يطلقها، فيكون الزواج بنية تحليلها للزوج الأول [٨٤].

أما الحديث الخامس فهو وارد في معرض بيان الحكم الشرعي فيما لو اعتدى أحد على غيره يريد أخذ ماله: ما يفعل المعتدى عليه؟

والجناس في الحديثين **نابع من اختلاف حركات الحروف**، ويسميه البلاغيون **بالجناس المحرف أو جناس التحريف**. وهو في الحديث الأول بين لفظتي «المحلل» و»المحلل»؛ وجلي أن الجناس ما ورد لمجرد التجانس اللفظي أو رغبة في الإيقاع الصوتي، **وإنما الدلالة هي التي دفعت إليه فكلاهما «المحلل» و»المحلل» يشتركان في محاولة تحليل محرم**، وأحدهما هو الفاعل لهذا التحليل، وهو

«المحلل»، والثاني: يفعل هذا الفعل لأجله، فهو مفعول له هذا التحليل،وهو «المحلل له»، **وهما يشتركان في فعل واحد، فاشتركا في لفظ واحد مع شيء من الاختلاف في الحركات**، ولذلك اشتركا أيضاً في الإثم، فهما ملعونان من الله تعالى. فالمعنى، إذن، هو الذي اقتضى الجناس وقاد إليه.

المقصود من اختيار اللفظ، كما هو واضح ،أن يدل **دلالة دقيقة بليغة على المعنى المراد، حتى إن تَجَانَسَا تَجَانُساً تاماً أو غير تام،** فبرغم التجانس شبه التام بين «المُحَلِّلِ» و»المُحَلَّلِ» له لا تفي كلمة أخرى بالدلالات التي قدمناها؛ **فلو قال النبي** ﷺ : "لعن الله المتزوج والمتزوج له"، لوقع النفور عند سماع الجملة الأولى، وربما توهم بعض– بل هذا جائز– أن المقصود "بالمتزوج له" ولى الأمر، الذي قد يتزوج الابن لأجل رضاه، مثلاً، فيكون في المعنى تلبيس وعدم وضوح على المقصود، وهو ما تنزهت بلاغتهﷺ عنه .

وقد يكون من دقة بلاغتهeأن تفترق دلالة كلمتين مجنستين، وبرغم التشابه الكبير بينهما فلا يكون من اختلاف سوى حركات الحروف أو لنقل: أن تفترق طريقة نطق لفظ بعينه افتراقاً شاسعاً ، وينبنى على طريقة النطق هذه تحديد مصير إنسان!

هذا ما يتضح جلياً في الجناس في الحديث الخامس أعنى قوله «فإن **قَتَلْتَ**؛ ففي الجنة، وإن **قُتِلْتَ** ففي النار»، ومناسبة الحديث توضح المقصود، وقد بنى عليها ﷺ إيجازه البليغ؛ فقد جاءه رجل يسأله: ماذا يفعل إذا اعتدى أحد على ماله؟ فبيَّن له الرسول ﷺ أن

يرد المعتدى بالحسنى مذكراً إياه الله ثلاثاً مستحلفاً إياه، فإن ارتدع، وإلا فليقاتل دفاعاً عن ماله، فإن قتله المعتدى؛ فهو حينئذ من أهل الجنة، لأنه مات دون ماله؛ فهو شهيد؛ لقوله ﷺ في الحديث الصحيح من طريق سعيد بن زيد "**من قتل دون ماله، فهو شهيد، ومن قتل دون أهله؛ فهو شهيد، ومن قتل دون دينه؛ فهو شهيد، ومن قتل دون دمه؛ فهو شهيد**»[٨٥]،أما إذا قتل المُعْتَدَى عليه المُعْتَدِى،فهو من أهل النار؛ فالأول (أي: قُتِلْتَ ففي الجنة) أُرِيدَ به نفس المظلوم المقتول أنه من أهل الجنة، والثاني (أي: قَتَلْتَ ففي النار) فقد أُرِيدَ منه نفس الظالم المعتدِى.

لعله قد اتضح أن الرسول ﷺ في الأحاديث السالفة، لم يعمد إلى الجناس، ولا قصد إليه في كلامه؛ فلم يحدث بناء على ما قدمنا أن طلب الجناس لمجرد أثره الموسيقى أو الإيقاعي، بل ورد يسوقه معناه، وتستدعيه دلالته، على أن الحديث الذي قد يُظن به أن ألفاظه ربما اخْتِيرَتْ رغبةً في المجانسة بين الألفاظ هو الحديث التالي.

رابعاً: ما ورد من جناس في الدعاء :

وقد وقع الجناس في هذا الحديث بين «عَصَوا» وعُصَيّة»، وبين «غِفار» و»غفر»، وبين أَسْلَم «وسالمها»، وهو جناس يسميه البلاغيون جناس الاشتقاق، **فهل كان مقصوداً؟** وبمعنى آخر:**لِمَ اختار النبي ﷺ مع "عصية" "عصوا"، وليس "غدروا" مثلاً؟ و لِمَ "غفر" مع "غفار"، وليس تاب أو عفا؟ و لِمَ "سالمها" مع "أسلم" وليس "عاهدها" أو هادنها" مثلاً؟**

ولكي نوضح سر هذا الاختيار منه ﷺ ؛ فلابد من الرجوع إلى السياق: **أعنى السياق التاريخي أوسياق الموقف الذي قيل فيه هذا الحديث أو لنقل: مناسبة الحديث:** رِعْلٌ وذَكْوَانٌ وعُصَيّةُ هم بطون من بنى سليم(٨٦)،وهؤلاء هم الذين قتلوا أصحاب رسول الله ﷺ في غزوة بئر معونة في صفر من السنة الرابعة للهجرة، " وملخصها أن أبا براء عامر بن مالك المدعو بملاعب الأسنة قدم على رسول اللهﷺ المدينة، فدعاه إلى الإسلام، فلم يسلم ولم يبعد. فقال يا رسول الله : لو بعثت أصحابك إلى أهل نجد يدعونهم إلى دينك لرجوت أن يجيبوهم؛ فقال: "إني أخاف عليهم أهل نجد" فقال: أبو براء: أنا جار لهم فبعث معه أربعين رجلاً... وفي الصحيح أنهم كانوا سبعين... وأمَّر عليهم المنذر بن عمرو أحد بنى ساعدة المُلقَّبَ بالمُحْنِق ليموت(٨٧)، وكانوا من خيار المسلمين وفضلائهم وساداتهم وقرائهم، فساروا ... حتى نزلوا بئر معونة، وهى أرض بين بنى عامر وحَرَّة بنى سليم، فنزلوا هناك، ثم بعثوا حرام بن ملحان أخا أم سليم بكتاب رسول الله ﷺ إلى عدو الله عامر بن الطفيل، فلم ينظر فيه، وأمر رجلاً فطعنه بالحربة من خلفه.

فلما أنفذها فيه ورأي الدم، قال حرام: الله أكبر، فزت ورب الكعبة، ثم استنفر عدو الله لفوره بنى عامر إلى قتال الباقين، فلم يجيبوه، لأجل جوار أبى براء، فاستنفر بنى سليم، فأجابته عصية ورِعْل وذَكْوَان، فجاءوا حتى أحاطوا بأصحاب رسول الله ﷺ ، فقاتلوا حتى قتلوا عن آخرهم إلا كعب بن زيد بن النجار؛ فإنه ارْتُثّ(٨٨) من بين

القتلى، فعاش حتى قتل يوم الخندق... وقد تألم النبيﷺ ؛ لأجل هذه المأساة؛ ولأجل مأساة الرجيع[٨٩] اللتين وقعتا خلال أيام معدودة، تألماً شديداً، وتغلب عليه الحزن والقلق، حتى دعا على هؤلاء الأقوام والقبائل التي قامت بالغدر والفتك في أصحابه»[٩٠]؛ لأنهم عاهدوه فغدروا[٩١] ؛وكذلك فعل بنو لحيان بالقراء، من قبل، في بعث الرَّجِيع، وهم من هُذَيْل[٩٢].

لقد اشترك الأقوام الأربعة: بنو لِحْيان، ورِعْل وذَكْوَان، وعُصَيَّةٌ في الغدر، فإذا كان الأمر أمر غدر فحسب، فلمَ اختار النبي الكريم ﷺ التعبير بـ "عَصَوْا"!

يبدو لي أن الأمر لم يكن غدراً فحسب، بل كان غدراً وخداعاً وخيانة وتمويهاً ومكراً سيئاً؛ فجميعهم ادعى الإسلام، وتظاهر به أي أعلنوا الشهادتين، للإيقاع بالمسلمين؛ فالرهط من «عُضَل» و»القارة» الذين استصرخوا بنى لحيان على العشرة من أصحاب النبيﷺ قالوا: يرسول الله ، إن فينا إسلاماً، فابعث معنا نفراً من أصحابك يفقهوننا[٩٣].

وكذلك زعمت رِعْل وذَكْوَان، وعُصَيَّةٌ [٩٤]، فقد جمعوا، إذن، إلى جانب الغدر نفاقا وخداعا وخيانة وكذباً، ثم هم قد أعلنوا إسلامهم بألسنتهم ولم تسلم قلوبهم، فهذه الكبائر للمسلم، وإن كان منافقاً تعد عصياناً منه لما أمر الله به وما نهى عن اجتنابه، **ولذلك آثر الرسولﷺ "عصوا"؛ ليفيد "اللفظ" إلى الغدر تلك الرذائل .**

أما "غدروا"، فلا يدل إلا على نقض العهد والميثاق، ولا يشعر

بأنهم قد تظاهروا بالإسلام.وأما إيثار «غفر» مع «غفار» وهو دعاء بلفظ الخبر، دون «تاب» فدلالة «غفر» تعنى العفو عن الذنب كما تتضمن ستر الذنب بمعنى محوه مطلقاً عن المذنب[٩٥] ، أما دلالة «تاب» فتعنى الرجوع عن الذنب أو التوفيق للرجوع عنه[٩٦]، وقد ثبت أنهم كانوا في الجاهلية يسرقون الحجيج[٩٧] **فدعاء الرسولﷺ بـ "غفر" يدل على رغبته في أن يمحى ذلك العار عنهم بستره يوم القيامة، و"غفر" تدل ضمنياً على التوبة بمعنى الإقلاع عن الذنب وهم بإسلامهم أصلاً يعتبرون قد تابوا من هذا الذنب، فالأنسب والأدق والأبلغ، إذن، الدعاء لهم بالمغفرة، بمعنى محو ذلك العار عنهم مطلقاً، وليس لمجرد الجرس الموسيقى.**

وأما «سَالَم» مع «أسلم»، وليس «هادنها» أو «عاهدها» أو أمّنها؛ فلأن كل هذه الكلمات لا تفي بالغرض المراد، وهو الدعاء لأسلم بالنجاة من عقاب الله وحربه فمن دلالة «سَالَم»: عَقَدَ عَقْدَ السِّلم[٩٨]، أو أن يبرئ الله أسلم مما كانت توصف به قبل إسلامهم، فيكون "سالم" بمعنى "سَلِمَ"، وقد جاءت صيغة فاعل بمعنى فعل، كـ "قاتله" الله: أي قتله. وقد نقل النووي عن القاضي عياض قوله: "هو من أحسن الكلام، مأخوذ من سالمته إذا لم ترَ منه مكروهاً، **فكأنه دعاء لهم بأن يصنع الله بهم ما يوافقهم**[٩٩] **فيكون سالمها بمعنى سلمها، وقد جاء فاعل بمعنى فعل كقاتله الله أي قتله»**[١٠٠].

ومادة سلم تدل في أصلها على البُرْء والنجاة من خطر والخلوص منه، ومنه «سلمت له الضيعة: خلصت، ومنه **(وَرَجُلاً سَلَماً لِرَجُلٍ)**

(الزمر: من الآية٢٩) «[١٠١] أي خالصاً له، فتكون دلالة «سالمها» متضمنة معنى الدعاء لأسلم بالسلام أو السلامة من عقاب الله تعالى، ومتضمنة براءتهم مما كانوا يوصفون به قبل إسلامهم من كونهم كانوا يسرقون الحجيج أيضاً[١٠٢].

والمعنيان قريبان، فيحتمل أن يكون خلوصهم لله تعالى وإقلاعهم بعد إسلامهم عما كانوا يفعلون قبل إسلامهم سبباً في مسالمة الله إياهم. وقد يحتمل أن يكون «سالمها» خبرا منه ﷺعن مكانة "أسلم "عند الله –تعالى– وإن كان حمله على الدعاء أولى.

وقد كان جائزاً لهﷺ أن يجمع غفاراً وأسلم في سياقه، فيقول "غفار وأسلم سالمهما الله، أو غفر الله لهما"، **لكنه آثر ما عبر به؛ليبقى لكل قوم مزية الاختصاص بشرف دعوة الرسولﷺ وما لهذا من أثر نفسي ومعنوي فعال لدى قبيلتي غفار وأسلم، يرجى معه دوام صلاح أمرهما على الإسلام، ثم إن اختيار اللفظ الموافق لاسم كل قبيلة منهما قد يكون من باب المشاكلة اللفظية، وهو أمر جائز، وقد يكون من باب مخاطبة الناس بأحب الأسماء إليهم.**

وهذه كلها أوجه جائزة، وإن كان **الباحث يرجح** دلالة سالمها على الدعاء لأسلم بأن يسلموا من عقاب الله ويَنْجُوا منه، لما في توافق ذلك مع ما عُرِفَ عنهم قبل إسلامهم، وتلك الدلالات لا تدل عليها كلمات أخرى مثل هادنها أو»عاهدها»، **ولذا ترى الجناس في هذا الحديث « يلذ على السمع لسهولته وانسجامه،وهو من الاتفاقات اللطيفة»**[١٠٣].

هل الجناس عبث لفظي كما يرى محمد مندور؟

ومن العجيب، حقاً، أن نرى محمد مندور يعد التجنيس والمطابقة عبثاً لفظياً ولعباً بالمعاني، على الإطلاق! يقول في سياق المقارنة بين الاستعارة وبعض فنون البديع «فالاستعارة أمر أصيل في الشعر... هي لباب الشعر، ولا كذلك التجنيس والمطابقة... **فالتجنيس إما عَبَثٌ لفظي يعتمد على الاشتقاق، ولا يستند إلى غير التداعي الشكلي... وإما لعب بالمعاني ومهارة في استخدام مفردات اللغة المتحدة أو المتقاربة في اللفظ والمختلفة في المعنى... والطباق مجرد مقابلات بين المعاني» !** (١٠٤)

ومن ثَمَّ، فهما عنده طريقتان من طرق الأداء الذي يغلب عليه العُقم في التفكير، وإن كان يحق للشاعر أو غيره استخدامهما!! (١٠٥).

حقاً ،قد تأتي بعض المجانسات أو السَّجْعات أو المقابلات كذلك عند بعض الأدباء والشعراء، وربما عند كثيرين، إلا أن إطلاق الحكم وتعميمه ،هكذا، لا نظنه صحيحاً؛ فلقد مرَّ بنا كيف كان الجناس يَرِد في كلامه ﷺ بقِلَّةٍ،"**عفواً من غير كَدٍّ ولا استكراه ولا بعد، ولا ميل إلى جانب الركاكة**»(١٠٦)؛ **لأنه لم يكن يطلبه ، ولا يتأهب لطلبه ،ولذلك ورد على أتم وجوه البلاغة وأعلاها وأبلغها.**

ولعل حرص عبد القاهر، وتأكيده أكثر من مرة على تقرير أن معيار جودة الجناس أو السجع أو أي فن بديعي **هو بقدر وفائه بالمعنى المراد**– كما مر بنا– وأن مهمة المحسن البديعي، هي في جعل المعنى أعمق وأبلغ وأدقَّ في إيصال المعنى المُبْتَغَى، وأشد

تأثيراً في النفس –لعل ذلك يثبت أن الجناس، أو السجع أو الطباق، ليس مجرد عبث لفظي أو لعب بالمعاني إن وُظِّفَ توظيفاً بليغاً بلا تَعَمُّل أو تكلُّف. إنه جزء من نسيج النص وبنائه اللغوي، وبقدر وفائه بالدلالة المرجوة التي استعمل لأجلها يكون متصفاً بالحسن والجودة والبلاغة.

الفصل الثاني

الطباق

القيمة المعنوية والإيقاعية للطباق:

يشيع الطباق في كلام العرب، وإن لم يختص به العرب دون غيرهم[١٠٨]،وهو في كلامهم أكثر وروداً من الجناس[١٠٩]، وقد آثره القرآن الكريم في كثير من آياته، كما في قوله تعالى: { **الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُور**} (الملك:٢)، وهو كذلك-كما سيتضح بعد- أسلوب مميز في كلام رسول اللهﷺ.

ونحن ندرس الطباق في هذا الفصل المتعلق بالإيقاع الصوتي **؛لأن للطباق ،وإن كانت قيمته فنية معنوية ،أثرا إيقاعيا من الحركة المنتظمة التي تنبع مما يحدثه الطباق من فجوة يكمن عمقها وتأثيرها في مسافة التوتر بين اللفظين المتضادين أو الألفاظ المتضادة في النص، وقد تكون بين المعاني المتضادة؛فإن الأُذُنَ العربية المرهفة «تستجيب لكل نوع من أنواع الحركة المنتظمة،صوتية كانت أو معنوية »**[١١٠].

ومن ذلك ما يكون في الطباق من اتفاق في الإيقاع النابع من اتحاد الصيغة الصرفية للمتضادين، أو حتى لإيقاع الجملة كما في قول الرسولﷺ : لو تعلمون ما أعلم ؛ لضَحِكْتُمْ قَلِيلاً؛ ولَبَكَيْتُمْ كَثِيراً"[١١١] **والإيقاع فيه واضح جلي.**

فإذا كانت موسيقى اللفظ في الجناس تقوم على استعمال لفظتين ترجعان إلى مادتين مختلفتين،متقاربتين أو متحدتين في الأصوات ومختلفتين في المعنى [١١٢]،فإن موسيقى اللفظ في الطباق تقوم علي

استعمال لفظين أو ألفاظ مختلفة الأصوات مختلفة المعني ،وقد يتفق اللفظان صوتيا ويختلفان في المعنى إيجابا ونفيا ،فيقترب الجناس من الطباق أو يرتبطان ،وهذا ما عناه ابن رشيق حين قال «إذا دخل التجنيسَ نفيٌ عُدّ طباقا ،وكذلك يصير بالنفي تجنيسا»[١١٣]؛فالطباق، في جوهره،»**ضد التجنيس في الألفاظ؛ لأن التجنيس هو أن يتحد اللفظ مع اختلاف المعنى، وهذا هو أن يكون المعنيان ضدين**»[١١٤]. ولعل هذا ما قصده القاضي الجرجاني بقوله:»وأما المطابقة فلها شعب خفية، ولها مكامن تغمض،**وربما التبست بها أشياء لا تتميز إلا للنظر الثاقب والذهن اللطيف**» [١١٥]

إن للفن البديعي –سجعاً كان أو جناساً أو طباقاً، إذا ورد من غير تكلف وتأهب لطلبه بأن كان غير مقصود إليه في نفسه– دوراً مهماً في الدلالة لا يمكن العدول عنه؛ **فقيمة التضاد ليست في مجرد الجمع بين كلمة ونقيضها، وإلا لكان لعباً بالألفاظ كما قال محمد مندور ، بل في قدرة المطابقة على مناوشة شعور المتلقي وإثارته، ليستبين أثر الجمع بين الكلمتين المتضادتين على الدلالة المرجوة**، أو لنقل: إثارته لما يمكن أن نسميه **بالفعالية الإدراكية عند المتلقي** إذا أحسن «المبدع توظيف هذا التضاد سواء على مستوى المفردات أو الجمل، **مجلياً تلك الحركة التي تموج بها المعاني داخل النص كله**، عندما يصبح التقابل مرتكزاً بنائياً يتكئ عليه النص في مكوناته وعلاقاته»[١١٦].

والطباق إذ يلعب دوره في إيصال الدلالة المبتغاة من وراء النص،

إنما هو جزء من مختلف وسائل التركيب اللغوي التي تتآزر جميعها في الإبانة عن هذه الدلالة[١١٧].

ولذلك، لا ينبغي أن ننظر»إلى الطباق على أنه شيء قائم بذاته، ولا يجدي إسراف البلاغيين في تفريعاتهم له،**وليس هناك معنى للحديث عن الطباق والمقابلة،فما هذا إلا ذاك**»[١١٨]؛ فمدار التفريع والتقسيم عند البلاغيين قائم على العدد؛ فالطباق تضاد بين كلمتين، والمقابلة تضاد بين معنيين متوافقين أو معان متوافقة ثم الإتيان بما يقابلها على الترتيب، ولسنا بباحثين عن العدد والكم في النص الأدبي، فهذا في حد ذاته لا قيمة له بلاغياً، وما له قيمة أن تكشف المطابقة أو المقابلة عن القصد الفني الذي ابتغاه المنشئ من إيثارها. وهو ما سنحاول أن نجليه في تناولنا بعض ما ورد من طباق أو مقابلة في الحديث النبوي الشريف موضع الدراسة.

وقد أظهر الإحصاء الذي قام به الباحث عن الطباق في أحاديث الإمام الليث بن سعد في الكتب الستة الصحاح أنه ورد في تسعين حديثاً [١١٨]**، وبمقارنة نسبة الشيوع هذه بعدد الأحاديث المروية بلفظها اتضح أن هذه السمة الأسلوبية وردت في الأحاديث المروية بلفظها بنسبة (١٣,٥٪)** .

وعلى ذا؛ **فالطباق سمة أسلوبية مميزة في أسلوب رسول الله** ﷺ ، وإذا كان حديثهﷺ حديث شفاهي يأتي طبعاً عفو الخاطر، **فهذا يعنى أن الطباق كان وسيلة فطرية غير مقصود إليها ابتداء، وأنه كان وسيلة مهمة في إبراز المعنى، وإيصال الدلالة المتوخاة.**

ويبدو للباحث، بقراءة متأملة للأحاديث التي ورد فيها الطباق،أنهﷺ كان يبتغى **بإيثار الطباق تنشيط ما أسماه الباحث الفعالية الإدراكية لدى المتلقي؛** حيث يستثير الطباق أو المعاني المتقابلة أذهان المتلقين ويسترعى أذهانهم، رغبة في تحفيز متلقي الرسالة أو النص إلى فهم أو اشتقاق الرسالة المقصودة من وراء الكلمات أو المعاني المتضادة في سياق واحد.

ويبدو أنه ﷺ كان بإيثاره الطباق أو المقابلة في مواضعها، يحاول أن يثير أو يحفز مخيلة المتلقين بما يمكن أن نسميه **رسم الصور المتناقضة أو المعاني المتناقضة باستدعاء المتلقين دلالتين أو صورتين أو حالتين متقابلتين أو متضادتين توضعان أمام مخيلة المتلقي، مثيرة ذهنه في المقارنة بينهما، والسر من وراء جمعهما معاً.**

وتلك طريقة أو أسلوب قرآني آثره القرآن الكريم كثيراً؛ فمعلوم أن القرآن الكريم ما ذكر الجنة إلا قرن بها النار، وإذا عرض مشهداً أو معنى لفريق المؤمنين وعاقبتهم، فغالباً ما يتبع ذلك تصريحاً أو تلميحاً أو حتى استدعاء من جانب المتلقي بفريق أهل النار وعاقبتهم(١١٩).

وقد تنوعت الأحاديث التي ورد فيها طباق من حيث موضوعاتها، فقد يرد الطباق في سياق الكشف عن حقيقة صفة النبيﷺ، وبيان ما يختلف فيه عن غيره من البشر ،وقد ترد المطابقة لتقرير معنى عقدي ينبغي أن تكون عليه عقيدة المؤمن،وقد تأتى مبينة عن صفات

المسلم أو بعضها،وقد تجيئ في سياق بيان وجوب تطبيق شرع الله على جميع الناس كبيرهم وصغيرهم رئيسهم ومرؤوسيهم،وقد تأتى تعليقاً على موقف ما كأن تكشف عن غفلة الناس.

وهذه بعض الأحاديث التي ورد بها طباق كنماذج على هذه السمة الأسلوبية، لنتناولها تناولاً أسلوبياً محاولين الكشف عن قيمتها الفنية،مبينين ما إذا كان الطباق قد تطلبه المعنى والسياق أو لا؟

١ – قوله ﷺ: "**إن العين نائمة والقلب يقظان**»(١٢٠).

٢ –وقوله ﷺ "كُلْ؛ فإني **أناجى من لا تناجى**»(١٢١).

٣ –وقوله ﷺ:"واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن **ينفعوك** بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله **لك**،ولو اجتمعت على أن **يضروك** بشيء ،لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله **عليك**»(١٢٢).

٤ –وقوله ﷺ"لا يجتمع غبار في سبيل الله، ودخان جهنم في جوف عبد، **ولا يجتمع الشح والإيمان في جوف عبد** «(١٢٣).

٥ – وقوله ﷺ:"إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم **الشريف تركوه** ، وإذا سرق فيهم **الضعيف أقاموا** عليه الحد، وأيم الله، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»(١٢٤).

٦ – وقوله ﷺ"لو تعلمون ما أعلم **لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً**»(١٢٥).

أولاً: ما ورد من طباق في بيان ما اختص به ﷺ:

في الحديث الأول، يَرِدُ الطباق: «إن العين نائمة، والقلب يقظان»، ولفهم هذا الطباق وكَشْفِ أثره الفني لابد من بيان سياق الحديث،

ففي الحديث تجيئ الملائكة رسول اللهﷺوهو نائم كما يصف جابر حاكياً عن الرسولﷺ ما أخبر به[١٢٦] من قول بعض الملائكة: «**إنه نائم**» وقول بعض آخر: «**إنه نائم وإن القلب يقظان**»، وتكرر كذلك في الحديث نفسه «**إن العين نائمة والقلب يقظان**» مرتين على لسان بعض الملائكة، وورد فيه طباق آخر في قوله ﷺ "**فمن أطاع محمداً ﷺ فقد أطاع الله، ومن عصى محمداً،فقد عصى الله**».

وتكمن قيمة الطباق في هذا الحديث في استثارته ذهن السامعين أو المتلقين إلى **محاولة الكشف عن هذا التناقض: كيف يكون الإنسان نائماً وقلبه يقظان؟!**والمعلوم أن النائم لا يعي شيئاً، ويزداد الطباق إثارة بتكراره وإصرار المتحدثين (الملائكة) على وصف هذا النائم (الرسول ﷺ) بهذا الوصف"إن العين نائمة والقلب يقظان"،فيزداد ذهن المتلقي مع هذا التكرار نشاطاً محاولاً معرفة الغاية من وراء هذا الطباق التي تكمن في الدلالة على **أن لهذا النائم خصوصية تختلف عن غيره من البشر خصوصية أن تنام عينه ولا ينام قلبه؛لأنه يقظ دائماً.**

ويبدو أن من الملائكة بعضاً ربما قد لا يفطن لتلك الخصوصية ؛فيقول في الحديث:» إنه نائم» ؛فترد طائفة أخرى مُذكِّرة من قال:»إنه نائم» من الملائكة بهذه الخصوصية مشيرة إليها بقولها: «**إن العين نائمة، وإن القلب يقظان**»؛ **فقيمة هذا الطباق، إذن، في قدرته على الكشف عن خصوصيته ﷺ بأنه ليس بشراً عادياً، وأن هذه الخصوصية ليست لأحد من البشر سواه ﷺ دون أن ينص عليها**

نصاً؛ فهو ليس بشراً عادياً .إنه رسول ونبي من عند الله ،قد آتاه الله من الخصال ما لم يؤت أحداً من خلقه[١٢٧].

إن الطباق،هنا،يبرز خاصية ميّز الله بها رسوله ﷺ،وهى أن نومهﷺ يختلف في حقيقته عن غيره؛ فلا ينام إلا عينه،أما قلبه فيَقِظٌ، فتلك خاصية مما آتاه الله وخصه به .وهذا يؤكده ما رواه الإمام ابن حجر، في تعليق على هذا الحديث؛ حيث قال: "**وفي حديث ابن مسعود: فقالوا بينهم: ما رأينا عبداً قط أوتى مثل ما أوتى هذا النبي . إن عينيه تنامان، وقلبه يقظان**»[١٢٨].

واختيار «يَقْظَان» له دلالة هامة، ولم يؤت به؛لمجرد أنه نقيض «نائمة»، فكان يمكن التعبير بـ «واع»، مثلاً، أو «منتبه»، **فلِمَ هذا الاختيار؟ إن مادة «وَعَى» تدل على الحفظ والفهم، وهذا يكون حال اليقظة**؛ففي اللسان «وعى الشيء والحدث يعيه وعياً وأوعاه: حفظه وفهمه وقبله، فهو واع، وفلان أوعى من فلان:أي أحفظ وأفهم»[١٢٩] ،وفي الحديث الشريف «**نضَّر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها، فرُبّ مُبَلَّغٍ أوعى من سامع**»[١٣٠]؛ ولذا قال الأزهري «الوَعِيُّ: الحافظ الكَيِّسُ الفقيه»[١٣١]، **فدلالة وعى تعنى الحفظ والفهم واستيعاب العلم، وهذا لا يكون إلا حال اليقظة**،أما النائم فلا يعي شيئاً؛لأن سبيل العلم أو الجوارح المؤدية إليه–وهى البصر والأذن –نائمة: ولذا قال الله تعالى:}لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ {(**الحاقة:١٢**)،**وقد تقدم في الحديث:"إن العين نائمة"؛ فانتفي سبيل الوعي المادي ،وهو حاسة البصر، وكذلك ضمنياً حاسة السمع الأذن .**

وأما "منتبه"، فالانتباه هو كذلك يكون حال اليقظة، وقد يكون الإنسان صَحْواً وهو غير منتبه، ولذا يقول المرء إذا سمع كلاماً فلم يقدِّره، ثم تبين له قدْرُه: "سمعت كلاماً فما نبهت له [أي] فما فطنت له"[١٣٢] فقد يكون المرء سامعاً الكلام فلا ينتبه له ولا يعيه، وقد يعي قدره ولكنه لا يفهمه فهماً جيداً، **ففي «واعٍ» أو «منتبه» درجات حتى في حال اليقظة، ناهيك عن أنهما لا يوصف بهما المرء إلا في حال اليقظة.**

وكذلك «يقظان» تدل على اليقظة، غير أنها تتضمن –إضافة إلى دلالتها على ما يدل عليه هذان **اللفظان** –الدلالة على كمال المعرفة والفطنة والحذر وكمال الوعي والانتباه[١٣٣]؛بدلالة الصيغة على الكثرة؛ فيقظان «على وزن» فعلان «الذي مؤنثه فَعْلَى أي «يقظى» وتجمع هذه الصيغة على فَعَالى، فيجمع «يقظان» على يَقَاظَى، وفعالى من جموع الكثرة[١٣٤] وهذه الدلالة على كثرة اليقظة،أنت لا تجدها في «واعين» أو «منتبهين.

وقد أُرِيدَ أن تدل اللفظة المختارة على اليقظة الدائمة الكثيرة التي تعي وتفهم وتنتبه، لهذا القلب الذي خص بهذه المزية،لما قد يلق إليها من وحي؛ فاختيرت «يقظان» لا سواها، لدقتها على المراد، ووفائها بالمعنى.

وعلى تلك الشاكلة من الدقة في الاختيار، **جاء الطباق بالإيجاب والسلب** في الحديث الثاني، في إيقاع نابع من تشابه أو توافق الأصوات،في قولهﷺ آمراً بعض أصحابه:**"كُلْ، فإني أناجى مَنْ لا**

تناجى»، متوخياً الدلالة على بيان صفة من صفاته ﷺ التي اختصه الله بها،وهي تَلَقِّى الوحي من جبريلu؛فتقديراً وتعظيماً لأمين الوحي جبريل،نزَّه نفْسَه عن أكل خَضِرَات من ثوم أو بصل،لما يتركان من رائحة غير طيبة،وأمر صاحبه أن يأكل؛**لأنه غير مختص بما اخْتُصَّ هو به**(١٣٥).

وقد آثر «أناجى» دون «أحدّث» أو «أكلّم»؛ لدلالة «أناجى» على معنى الحديث والكلام، واختصاصها بدلالتها على المسارّة والخفاء في الحديث أو الكلام، يعنى أحدث جبريل عليه السلام حديثاً لا تسمعه ولا تراه؛ فالمناجى: المحدث غيره سراً؛ ففي اللسان «ناجى الرجل مناجاة ونِجَاء: سارّه: وانتجى القوم وتناجوا: تسارُّوا»(١٣٦).

وقد كان يمكنه ﷺ ألا يختار التعبير بالطباق أصلاً،فلا يحكى لفظ ما نطقت به الملائكة، بل يعبر عن فحواه،كأن يقول،مثلاً،على ألسنتهم:"إن صاحبكم نبي مرسل"أو"إن له منزلة ومزايا خاصة ليست لغيره"،أو أن يقول في الحديث الثاني:"كل، فإني نبي مرسل"،أو"فإني ألتقي بجبريل".وقد يرجح استخدام تلك الصيغ وإن كان أمرالكلام لا يحدث بهذه البساطة أو بهذا الاختيار البسيط،وإنما هو اختيار فطرى يحدث على محوري الاختيار والتوزيع في آن معا .

غير أن الكلام – إضافة إلى ما سبق–على هذا النحو من الاختيار يوحى بدلالة أخرى تكشف عن بعض سمات شخصيته،وهي مراعاته مشاعر محدثيه، فالصاحب الذي قدّم له بعض الخَضْرَاوَاتِ من بُقُولٍ

لها ريح، فكره أكلها؛لأن النبي ﷺ لم يأكلها – ولعلها كانت ثوما أو بصلا– قال له النبي ﷺ "**كُلْ؛ فإني أناجى من لا تناجى**»، **لتذكيره بالمفهوم أن هناك سببا خاصا به هو كنبي يمنعه من أكلها ،وهو لقاؤه أمين الوحي جبريل – عليه السلام – وهو لا يفعله الصاحبى الجليل، فأمسك النبي عن ذكر ذلك تصريحا، وآثر التعبير بهذا الطباق تاركا لسامعه أن يستشف هو الدلالة المقصودة من ورائه، وهى أنه ﷺ ليس كغيره من الناس، وأن له خصائص منها حديثه جبريل** ﷺ وهذا لا يوافقه أكل الثوم والبصل؛ لرائحتهما الكريهة بعد الأكل، أما في الحديث الأول فنقل الكلام بنصه؛ **لأنه رؤيا وأمانة النقل تحتم عليه** ﷺ **أن ينقل كلام الملائكة كما هو.**

وتلك الدلالة للطباق على ما يختص به الرسول ﷺ بكونه نبيا مرسلا من الله تبارك وتعالى تتوافق وتتناسب مع ما ضربته الملائكة للنبيr مثلا،وما أوَّلتْه به وما عقّبت به علي هذا المثل؛فقد مثلوا له مثلا برجل بنى دارا ،ودعا الناس إلى مأدبة فيها، فمنهم من أجابه فأكل ومن لم يجبه لم يدخل ولم يأكل، وأوَّلُوها، "**فالدار الجنة والداعي محمد**ﷺ **فمن أطاع محمدا أطاع الله، ومن عصى محمدا**ﷺ **فقد عصى الله**» (١٣٧).

فكأن قولهم :» **إن العين نائمة وإن القلب يقظان**»–بدلالته الآنفة– تهيئةٌ وتمهيد لما سيصدرون من حكم ،وهو أن طاعة هذا الموصوف بهذه الخصائص لنبوته واجبة ؛فهذا الطباق أدى بدلالته إلي هذا الحكم الذي هو عبارة عن مقابلة بين حالين:حال الطاعة

وحال العصيان،جاعلا طاعة محمد ﷺ طاعة لله، وعصيانه عصيانا لله U،وقيمة تلك المقابلة قدرتها على بيان وجوب الطاعة التامة والكاملة لرسول الله ﷺ والإيمان به من كل من تبلغه دعوته، وبيان أن إيمان من لا يؤمن بمحمد ﷺ ولا يتبعه ويطيعه إنما هو غير مقبول ؛(**إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلامُ**)(آل عمران:من الآية١٩)(**وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**) (آل عمران:٨٥)

وينبغي أن نتوقف كثيرا عند تلك المطابقة؛ فمخالفة أمر من أوامره أو إتيان نهى من نواهيه ليست مخالفة لمحمد في شخصه، إنها مخالفة لداع من الله ﷺ، ومن خالف داعي الله فقد خالف الله فاحترام الرسول وتقديره وإعزازه من تقدير وإجلال مرسله ﷺ ؛ فطاعة محمد ﷺ أو مخالفته من غير أن يكون نبيا رسولا، أمر لا يهم كثيرا، أما مخالفته وعصيانه وهو رسول ونبي فيترتب عليها خسران الدنيا الآخرة.

<u>ثانيا: ما ورد من طباق في بيان معنى عقدي :</u>

استعمل الرسولﷺ الطباق أو المقابلة في بيان بعض الأمور الاعتقادية، كوجوب اعتقاد طلاقة القدرة الإلهية في النفع والضر، وأن ما يقع من نفع أو ضر على العبد، إنما هو بمشيئة الله تعالى، وقد ورد ذلك في قوله ﷺ: "... واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعت على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك،

رفعت الأقلام، وجفت الصحف»[١٣٨].

جاء الطباق أو المقابلة بين: «ينفعوك» و»يضروك»، و»لك» وعليك،في تناسب إيقاعي سواء على مستوى الصيغ الصرفية التي هي أوزان هذه المفردات المتقابلة أو علي مستوي إيقاع الجملة النابع من التكرار –بترداد الألفاظ وتكرارها ،ترجع المزية فيه إلي نوع من الدلالة يهدف إلي التقرير و التبيين والتمكين ؛فالكلام الذي تتردد ألفاظه ويرجع بعضها إلي بعض،فيه تقرير وبيان وتدليل، وتمكين بنوع من زيادة المعنى في اللفظ أو الألفاظ المكررة ،فليس الأمر مجرد تكرار ،بل تكرار له من زيادة المعنى نصيب ،كما أن له من الإيقاع الموسيقي النابع من ترديد ألفاظ بعينها نصيبا أوفى،يتضح هذا إذا وضعنا المقابلة مرتبة هكذا:

– لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك.

–ولو اجتمعت على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك.

فهذا الترديد لون من الإيقاع الموسيقي يتقارب مع الإنشاد الذي يطلب فيه ترداد بعض ألفاظ يدركها السامعون علي البديهة بمجرد الإنشاد ،والإيقاع يحلو علي الترداد والتكرير، وهو سمة تتصل بالذوق الموسيقي والجمالي للأدب العربي شعرا ونثرا[١٣٩].

هذا من حيث القيمة الصوتية أو الموسيقية للطباق ،أما من حيث القيمة الفنية المعنوية، فإن للمقابلة قدرة علي إثارة مشاعر السامع

حول الدلالة المتوخاة من هذا التضاد،وهي **الدلالة القاطعة على طلاقة قدرة الله في النفع والضر.فهل جاء اختيار هذه المفردات المتقابلة لمجرد الإيقاع والمطابقة ؟**

إنك إن حاولت استبدال لفظ بآخر ؛ لاختل النظم والمعنى، **فالنفع فيه خير، ولا يناسبه إلا التعبير بـ «لك»**، والضر لا يناسبه إلا التعبير بـ «عليك «في هذا السياق، وهو عام في كل خير يصل إلى الإنسان. ولن يصل إليك ولو اجتمع البشر عليه جميعاً لإيصاله إليك حتى توافق رغبتهم ما قضى الله به لك من قبل؛ ولأنه «خير» سيملكه الله لك أي ستصبح متصرفاً فيه بمقتضى هذا التمليك، جاء التعبير بحرف الجر اللام، فهذا النفع جعله الله لك على سبيل التمليك أو شبه التمليك، وقد تكون «اللام» هنا ؛لانتهاء الغاية، فتكون بمعنى «إلى» أي: لو اجتمع الناس جميعاً على فعل فيه نفع لك فلن ينتهي هذا النفع إليك، حتى يكون الله قد حكم به من قبل في اللوح المحفوظ، والأول أولى في نظرى.

أما اختيار «عليك» مع التعبير بالضر في قوله ﷺ "قد كتبه الله عليك»؛ فلأن الضر، هنا، يقع على الإنسان أو يصيبه من قوة أعلى منه، وهى هنا القوة الإلهية، فأريد التعبير عن معنى الاستعلاء الموضوع له الحرف «على» الذي يدل على أن الاسم المجرور به قد وقع فوقه المعنى –»وهو هنا الضر»– وقوعاً حقيقياً مباشراً أو مجازياً»[١٤٠]، وهو هنا وقوع حقيقي؛ لأن الضر لن يصيب الإنسان إلا إذا وافقت رغبة البشر ما خطه القلم من قبل في اللوح المحفوظ.

فلهذه المعاني،إذن،اختير كل حرف لما يناسبه من المعنى؛ فاختير «اللام» مع النفع، واختير «على» مع الضر، **وإذا كان المعنى في (كتبه الله لك) لانتهاء الغاية، فاختيار اللام فيه هنا دون «إلى» أو «حتى»، وهما أيضاً يؤديان معنى انتهاء الغاية؛ لأن اللام في هذا المعنى هو الحرف الأوضح والأشهر والأدق، أما «إلى» فهي لانتهاء الغاية الزمانية أو المكانية**[١٤١] والمراد انتهاء الفعل الذي هو»الضر» إلى الإنسان،أو انتهاء أثره إليه،وهو ما «اللام» أنسب له وأدق،وأما «حتى» فلانتهاء الغاية مع التدرج والتمهل[١٤٢] وهو ما لا يتناسب مع المراد الذي هو الدلالة على انتهاء حصول ووصول مُشْعِر بالامتلاك لحكم الله في هذا المر من قبل.

ومن خلال هذه التفرقة الدلالية بين المفردات المختارة اختياراً دقيقاً تتضح قيمة الطباق أو المقابلة في هذا الحديث، التي تكشف عن طلاقة القدرة الإلهية؛ فلا يقع نفع أو ضر إلا بمشيئة الله تعالى، **فالجمع بين الضدين «النفع والضر» في حق الله تعالى فيه دلالة قاطعة على طلاقة قدرته ،أما في حق البشر، فهي ناقصة متوهمة.**

ولذا يُصَحِّحُ الحديثُ- بدلالة هذه المفارقة بين كمال قدرة الله في النفع والضر **وطلاقتها، وتوَهُّمِ البشر أنهم قادرون ،ولو اجتمعوا على النفع أو الضر**- الاعتقادَ الذي ينبغي أن تكون عليه عقيدة المسلم: **وهو أن البشر مجتمعين لا ينفعون ولا يضرون إلا بما أجرى الله على أيديهم من نفع أو ضر فما هم إلا أسباب؛ لأن النافع الضار هو الله.**

ثالثاً: ما ورد من طباق حاملاً معنى البشارة والنذارة :

وقد حمل الطباق معنى التبشير والإنذار مستثيراً السامعين في قوله ﷺ : "إني فرط لكم وأنا شهيد عليكم، وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن وإني قد أعطيت مفاتيح خزائن الأرض، أو مفاتيح الأرض وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدى، ولكن أخاف عليكم أن تتنافسوا»[١٤٣].

وبائنٌ أن الطباق بين «**ما أخاف عليكم**» و«**لكن أخاف عليكم**» **يستثير المتلقين لأول وَهْلَةٍ؛ إذ هو جَمَعَ بين الشيء ونقيضه؛ فالأُولى تقتضى السرور والفرح والابتهاج؛لأن النبي ﷺ بشرهم بأنهم كجماعة مسلمة لا يخاف عليهم من الشرك؛ فالمراد أن الخشية "على مجموعكم؛ لأن ذلك[١٤٤] قد وقع من بعضهم»**[١٤٥]،فهم لن يرجعوا كفاراً أو مشركين، وفي هذا طمأنة وتبشير.

أما «**ولكن أخاف عليكم**» فتقتضى إثارة الذهن، واستشرافه إلى هذا الذي يخاف منه الرسولﷺ ويخشاه على المسلمين، فهي تقتضى منهم الانتباه الشديد والحيطة والحذر، والاستشراف إلى ما سيتعلق به إيجاب الخوف من الرسولﷺ فهم يعلمون أنه لا يخاف إلا من الله فإذا ما استكمل الرسول ﷺ كلامه، علموا أن الذي يخاف منه الرسول ﷺ عليهم هو طريق التنافس في الدنيا والتكالب عليها والركون إليها ونسيان الآخرة، أو تناسبها، وهو ما حذرهم منه.

إن الطباق، في الحديث، لا تقتصر قيمته الفنية على ما بينا، بل يستدعى من المتلقي أن يتصور طريقين ،لكل منهما عاقبته

:الأولى: طريق المنافسة على حطام الدنيا،والثانية: طريق الاعتدال والاستقامة بالعمل للآخرة كما يعمل للدنيا، والأولى عاقبتها الخسران والضياع، والثانية عاقبتها الفوز والنجاة.

وعلى الرغم من أن الرسولﷺ قد حذّر ،وأنذر، وبشّر، إلا أنه إنذار ،هو من دلائل نبوته ﷺ ،من حيث الأسلوب الذي تميز بالدقة في الاختيار، أعنى اختيار "أخاف" دون "أخشى" أو "أتوجس"، وهو اختيار أيده الواقع الفعلى.

فأما من حيث الأسلوب: ففي الأولى نفي الخوف منه، وهو مشعر بالثقة والاطمئنان واليقين، وهو جزم بأنهم لن يشركوا ثانية. وأما إعادتها مثبتة في قوله «ولكن أخاف عليكم»؛ فالتعبير بالخوف يكون إما مما تحقق وقوعه، فالمرء يخاف منه، وإما مما يعلم أنه سيقع أو يتوقع حدوثه، فيحذر، والخوف إما أن يتعلق بنفس الخائف فهو يخاف على نفسه من أمر ما، فيخاف منه، وإما أن يتعلق بنفوس المستمعين، فيخاف عليهم، وهذا ما عبر عنه النبيﷺأنه خائف عليهم، وفي هذا إظهار لحبه إياهم ولحرصه وإشفاقه عليهم، ولذا يحذرهم.

والتعبير هنا بالخوف عليهم بصيغة المضارع الذي يشمل في صيغته جزءاً من المستقبل وجزءاً من الماضي،إضافة إلى دلالته الأصيلة على الزمن الحالي، **فقولك لشخص ماذا تفعل؟ فيجيب: أكتب أو أذاكر، فهو كان قبل لحظة الكلام يذاكر، وبعد لحظة التكلم كذلك سيذاكر،غير أن الفعل هنا «أخاف» دل على المستقبل وحده**

دون دلالة على جزء من الماضي أو دلالة على زمنه الأصلي، للقيد الوارد في الحديث وهو قوله «بعدى» في قوله «ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدى» فهو إخبار عن مستقبل سيحدث بعد وفاته، وما بعد وفاتهﷺ ممتد في الزمن إلى يوم القيامة، وهذا ما عنينا به أن دلالة الحديث القائمة على الطباق فيها من دلائل نبوتهﷺ إذ أخبر عما سيقع، فوقع، كما قال.

وأيَّد الواقع الفعلي الخبر النبوي، «فقد فتحت عليهم الفتوح بعده، وآل الأمر إلى أن تحاسدوا وتقاتلوا، ووقع ما هو المشاهد المحسوس لكل أحد مما يشهد بمصداق خبرهﷺ " (١٤٦).

ودقة التعبير بـ «أخاف» دون «أخشى» أو أتوجس، **من كون «أخشى» تدل إلى جانب دلالة الخوف على تقدير المَخْشِىّ منه وإنزاله منزلة عالية قد يستحقها وقد لا يستحقها؛ ولذلك يعبر عن تقوى الصالحين بالخشية وليس الخوف.** قال تعالى: } إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ { **(الملك/١٢) فدافعهم إلى الطاعة ليس مجرد الخوف من الله تعالى، وإنما كذلك بدافع التقدير والحب لله عز وجل وإنزاله المنزلة التي يستحقها من العبد، وهذا ما ألمح إليه القرآن الكريم في قوله تعالى محذراً أولئك الذين يخافون من الناس وينزلونهم منزلة لا يستحقونها من التقدير والحب أو من الرهبة والرغبة، ويسهون أو يتغافلون عن إنزال الله المنزلة اللائقة، والقدر الذي يستحق من الخوف والتقدير والحب، وأن ذلك لا يجب إلا في حق الله تعالى يقول**

تعالى:}فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ{ **(المائدة:من الآية٣)،وقال أيضاً:**} الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً{**(الأحزاب:٣٩)،وهذه الدلالة غير مرادة هنا.**

وأما "أتوجّس"؛ ففيها إلى جانب دلالة الخوف، دلالة على الشك والريبة والتردد، وهو غير مراد هنا أيضاً؛ فالأمر علم أطلع الله رسوله ﷺ عليه .

وفي التعبير بـ" أخاف"-إلى جانب دلالة الخوف- زيادة في الدلالة ليست موجودة في كلمتي "أخشى" "وأتوجس" :أعنى دلالتها على الخوف المصحوب بالفزع، **بل يفسر الخوف، في اللسان، ابتداء: بالفزع**(١٤٧)، ولذلك آثره النبيﷺ بالاختيار، **وفي سياق الإنذار والتحذير يكون التصريح بالخوف المصحوب بالفزع أولى وأدق وأبلغ؛** ففي التنافس على **الدنيا نسيان للدين وضياع له. فقد تؤدى إلى حرص المسلم على الدنيا إلى أن يصبح معه الحرص والشح، مثلاً، طبعاً له، وهو ما يتنافى مع الإيمان، ويضاده.**

رابعا: ما ورد من طباق فيما يخص صفة المسلم :

في بيان ما ينبغي أن يتحلى به المسلم من صفات، وما لا ينبغي أن يكون عليه خلقه؛ جاء قوله ﷺ : "لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف عبد، ولا يجتمع الشُّحُّ والإيمان في جوف عبد»(١٤٨) وروى بلفظ آخر هو «**لا يجتمعان في النار: مسلم قتل كافراً ثم سدد وقارب، ولا يجتمعان في جوف مؤمن: غبار في سبيل الله، وفيح جهنم، ولا يجتمعان في قلب عبد: الإيمان**

والحسد»[١٤٩] .

والروايتان من طريق أبى هريرة واختلفت ألفاظهما؛ فإما أن يكون الحديثان قيلا في مناسبتين،وهو ما أرجح، وإما أن يكون اختلاف الألفاظ راجعاً إلى الرواة، على أنها اختلافات يسيرة لا تؤثر في السياق.

و» الشُّحُّ « و»الإيمان» أو «الغبار في سبيل الله» و»فيح جهنم»، و»الإيمان» و»الحسد» ليست من الألفاظ المتضادة في اللفظ، وإنما هي من تقابل المعاني، أو تخالفها أو تنافيها بمعنى انتفاء وجود أحدهما مع وجود الآخر، فهي قريبة من التضاد **وقد آثر ابن سنان تسمية ما كان من** قبيل **التضاد كالسواد والبياض، وما كان من قبيل تقابل المعاني وما كان من سلب وإيجاب –اختار تسمية الجميع بالمطابق أو الطباق**[١٥٠].

وفنية الطباق أو المقابلة تكمن في عقد المقارنة والمقابلة بين المسلم والكافر المقتول، ونفي أن يجتمعا في النار، وبين عدم الجمع بين غبار المعارك في سبيل الله الذي يتعرض له المجاهد وفيح جهنم، وبين استحالة وجود الإيمان والشح،أو **الإيمان والحسد في قلب عبد مؤمن،** وهى مقابلة أو مقارنة تستحوذ على المتلقي بحيث تستثيره دافعة إياه إلى التفاعل مع النص كلامِ النبيﷺمتصوراً نفسه ،أو واضعاً نفسه حيث يريد من حال يجب أن يكون عليها:**حال المسلم الذي جاهد في سبيل الله الذي عانى وقاسى في سبيل الجهاد ألم الفراق لأهله وولده وماله مؤثراً الله على ذلك، وخاض**

غبار المعارك، فيأمن بذلك أن يدخل جهنم، بل أن يَشُمَّ دخانَ جهنمَ وأَثَرَ حرِّها، وحال الكافر الذي حادّ الله ورسوله، وقاتل في سبيل الشرك،فهو إلى جهنم صائر.

والمقابلة بين»الإيمان»و»الشح»،وبين»الإيمان والحسد»في سياق نفي اجتماعهما في قلب العبد فيها دلالة على أن الحسد والشح كليهما أبعد شيء من الإيمان،أو المراد بالإيمان كماله،أو المراد أنه قلما يجتمع الشح والإيمان،واعتبر ذلك بمنزلة العدم، وأخبر أنهما لا يجتمعان[١٥١] .

والوجهان الأخيران (نفي كمال الإيمان مع الشح والحسد، أو انعدام الإيمان) يؤيدهما قول أبى هريرة النابع من فهمه حديث رسول الله ﷺ "لا يجمع الله غباراً في سبيل الله، ودخان جهنم في جوف امرئ مسلم، ولا يجمع الله في قلب امرئ مسلم: الإيمان بالله والشح جميعاً[١٥٢]، **لكن، لماذا اختيار «الشح» وليس البخل، وهما مترادفان؟**

في الشح عموم وبلاغة ليست في البخل؛ «ف**الشُّحُّ** أَشَدُ البخل، وهو أبلغ في المنع من البخل، وقيل: البخل في أفراد الأمور وآحادها، والشح عام»[١٥٣]،**فالبخل منع المال فحسب،أما الشُّحُّ فمنع للمال مع حرص على تحصيل المال مما يحل ويحرم.**

وعلى ذا فرّق ابن مسعود بينهما؛ فقد قال له رجل: ما أعطى ما أقدر على منعه. فقال: ذاك البخل، الشح: أن تأخذ مال أخيك بغير حقه"[١٥٤]، ولذا قيل أيضاً: «**البُخْلُ بالمال، والشُّحُّ بالمال**

والمعروف»[١٥٥].والاستعمال القرآني يؤيد هذا التفريق-**(فالشُّحُّ أعم في منع كل ما هو خير: من مال أو نصح أو رأي أو غيره، أما البخل فمنع للمال فحسب)**- فقد عبر عن منع الخير **بالشح، وكلمة الخير عامة في كل ما ينفع مالاً كان أو غير مال ؛قال تعالى:{** فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا{**(الأحزاب: من الآية ١٩)**.

وعلى ذا، فاستعمال الرسول ﷺ الشح في مقابلة الإيمان هو استعمال يتميز بالدقة والوفاء بالمعنى؛ فالمسلم الذي يحرص على منع كل ما هو خير من مال أو غيره من تقديم نصح أو مشورة أو يدل على معروف أو غير ذلك، يحرص على أخذ المال من حله وحرامه؛ فهذا هو الشحيح الذي ينافي طبعه طبع المؤمن، فإما أن ينتفي عنه الإيمان أصلاً، أو يكون المراد: أن ينتفي عنه كمال الإيمان.

والباحث يرجح الأول؛ **لكون من ذا صفته لم ينتفع مطلقاً بما آمن به، فإيمانه منعدم؛لأنه إيمان باللسان دون القلب،ولذا لم يثمر في سلوكه،وهذا يؤكده قول رسول الله ﷺ:**"يا معشر من أسلم بلسانه،ولم يدخل الإيمان قلبه،لا تؤذوا المسلمين، ولا تعيروهم ،ولا تطلبوا عثراتهم»[١٥٦].

وما قلناه عن الشح من منافاته الإيمان، فمثله عن الحسد، وأرجح أن تعدد الروايات لتعدد المناسبات، فربما ناسب مقتضى حال السامعين أن يتحدث الرسولﷺ مرة مطابقاً بين الإيمان والشح؛

لعلمه، مثلاً، أن بين الحاضرين مَنْ به تلك الخَصْلَةُ الذميمة، رغبة في تنفيره منها وابتعاده عنها، وربما ناسب مقتضى الحال أن يعبر بالحسد، للعلة ذاتها، فيكون اختياره محكوماً بمدى مطابقة كلامه حال السامعين وبلاغته في التلميح دون التصريح، والإشارة دون العبارة باللفظ عن بعض الناس.

خامسا:ما ورد من طباق في بيان وجوب تطبيق شرع الله على الجميع:

ولعل من تعدد الروايات، لمناسبة مقتضى حال المخاطبين، فيما يخص الطباق والمقابلة، التضاد بين كلمتي «الشريف» و«الوضيع» في رواية «إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»[١٥٧].وفي رواية أخرى: «**إنما هلك من كان قبلكم أنهم كانوا يقيمون الحد على الوضيع ،ويتركون على الشريف**»[١٥٨].

ففي الحديث مقابلة بين «الشريف» و«الضعيف» و«الوضيع» – **ولنلحظ الاتفاق في الصيغة الصرفية فجميعها علي وزن فعيل،وهذا منبع الإيقاع في الحديث وكذلك بين«يقيمون» و«يتركون»**– أو بين «أقاموا» «وتركوا»، ومناسبة الحديث معروفة، وتعدد الرواية لعله من تعدد المناسبة كما ذهب ابن حزم وغيره، حيث اعتبر أن قصة المرأة التي سرقت «قصتان مختلفتان لامرأتين مختلفتين» لكن، ابن حجر عَدَّ هذا الرأي ضعيفاً ،وإن لم يقل ببطلانه[١٥٩].

ويبدو للباحث–من لغة الحديث–أن كلام ابن **حزم فيه قدر كبير من الصواب، من حيث كون تعدد الروايات لتعدد المناسبة، لا من حيث كون قصة المرأة التي سرقت قصتين مختلفتين؛فهي امرأة واحدة قرشية، كانت تسمى فاطمة بنت الأسود» ،وهى بنت أخي أبى سلمة الصحابي الجليل الذي كان زوج أم سلمة قبل النبيﷺ**(١٦٠)، وهى التي جحدت حُلِيّاً كانت استعارته، **فقد روى عروة أن التي سرقت هي التي جحدت العارية، "وهى التي شفع فيها أسامة بن زيد، وقال فيها رسول الله ما قال»**(١٦١) .

وهذا صريح الدلالة في أنها قصة واحدة،على أن في لغة النص ما يشير إلى أن تعدد الرواية ناشئ عن **تعدد المناسبة**،أعنى من حيث مراجعة أسامة بن زيد الرسولﷺ فيها؛ فورد أن قريشاً **أهمَّهم** شأنُ المرأة المخزومية التي سرقت،وهذا صريح أن الأمر **كان مجال حوار وأخذ ورد بين قريش،فاستقروا على أن يُكَلِّمَ أسامةُ فيها النبيﷺ فكلمه أسامة**(١٦٢).

ويبدو للباحث أن إنكار رسول اللهﷺعلى أسامة في قوله:"**أتشفع في حد من حدود الله؟!**» يوحى بأنه قد سبقه حديث بينهما، **فلما أعاد أسامة عليه الشفاعة أنكر عليه النبيﷺ هذا النكران الشديد**؛ ويؤيد هذا قولُ ابن حجر–رحمه الله– «لأنه كان سبق له منع الشفاعة في الحد قبل ذلك»(١٦٣)،ويؤيده، كذلك، تعبير الراوي عنهﷺ بـ "ثم" في قوله "ثم قام فاختطب" ،وما ذكره ابن حجر أيضاً من "رواية يونس،فلما كان العشي قام رسول الله ﷺ خطيباً " (١٦٤).

وفي هذا فترة زمنية تجيز أن يكون الحال حال أخذ ورَدٍّ، فخاطبهم رسول الله ﷺ محذراً مما كان يفعله أهل الكتاب من قبل، بأنهم كانوا لا يقيمون أو لا يطبقون العقوبة على الشريف، ويطبقونها على «الضعيف»، و»الضعف حينئذ ضد الشَّرَفِ الذي مصدره القوة والسلطان، «والضعف خلاف القوة»[١٦٥] ؛فالضعيف يحتمل أن يكون كذلك؛ لضعف في بدنه؛أو لضعف قبيلته ؛أو عصبته،أو على «الوضيع» الدنيء، الذليل الذي يَهُونُ على الناس، وهو حينئذ نقيض الشرف الذي مصدره الرفعة بالآباء والأجداد .

فقابل النبي ﷺ مرة الشريف بالضعيف،وأخرى بالوضيع تنبيها على ما قدمنا وتحذيراً واستنكاراً،أو لعل أسامة في كلامه النبيﷺ ونصه غير محكي في الحديث شفع لديه للمرأة بشرف نسبها؛لأنها من قريش،أو خشية من ثورة أهلها،إذا طبق الحد عليها، والأول أولى.

وهذه المقابلة بين هذين الحالين مقابلة سمت إلى الذروة في **المناسبة المعنوية** التي تقتضى من المخاطبين أن تتحرك فيهم فاعلية الفهم والإدراك، وهم هنا جماعة المسلمين على عهده ﷺ وبعد عهده، تلك الفاعلية التي تسلمهم إلى حقيقة **خطيرة هي سلامة المجتمع، وسيادة الأمن والأمان والاطمئنان فيه إن ساد العدل بين الناس، وطبقت الشرائع والقوانين عليهم كافة رؤساء ومرءوسين، إشرافاً ومن دونهم، أو على النقيض ضياع الأمن والأمان والاطمئنان، وانهيار المجتمع في النهاية، والهلاك في الآخرة إن هم فعلوا**

فعل سابقيهم، فأخذوا على يد الضعيف، وتركوا القوى ذا السلطان والمكانة في هذه المقابلة، إذن، تحذير شديد منه ﷺ من المحاباة والتمييز في تطبيق الحدود أو الشرائع والقوانين ،بل في كل الأمور.

سادساً: ما ورد من طباق تعليقاً على موقف ما :

ومن روائع المقابلة في كلامهe قوله:»لو تعلمون ما أعلم؛لضحكتم قليلاً؛ ولبكيتم كثيراً «[١٦٦] فتقابل المعاني بين قلة الضحك وكثرة البكاء واضح لا لبس فيه،وهذا الحديث،على إيجازه ، من جوامع كلمهﷺ ، وأظهر ما فيه، من فنون البلاغة، تلك المقابلة التي تقرع **الأسماع للإيقاع المنتظم للتوازن اللفظي الذي خرجت عليه،فكل كلمة بإزاء الأخرى وعلى وزنها.هذا الإيقاع مع التناسب المعنوي الذي تحمله المقابلة مثير ومنشط ومحرك العقل المدرك،كي يتدبر سر التعبير بهذه المقابلة،ومبعث الإثارة والاندهاش والعجب الذي تثيره المقابلة هنا،إنما هو حادث؛ لأن عادة الناس أن يكثروا من الضحك ويقلوا من البكاء،وليس العكس.**

وهذا هو الحال أو الموقف الذي وجد الرسول ﷺ قوماً عليه حين كان خارجاً من المسجد ،"**فإذا بقوم يتحدثون ويضحكون، فقال: والذي نفسي بيده...** الحديث»[١٦٧] ؛فهم يضحكون كثيراً؛ لأنهم لا يعلمون ما يعلمه النبي ﷺ؛ **ولذلك اختير التعبير بصيغة تقتضى جهلهم بما يعلمه، فرتب المعنى على أنهم لو علموا ما يعلمه من علم اختص به، لتغير حالهم إلى نقيض ما هم عليه، فلن يضحكوا إلا قليلاً، وسيبكون كثيراً تبعاً للعلم الموجب لذلك، وهذا يثير الذهن**

ويحركه مرة أخرى ليستشرف محاولاً أن يعرف ما هذا العلم الذي لو علمناه لبكينا كثيراً ولضحكنا قليلاً.

لا شك في أنه علم بحقائق تخيف الإنسان إلى الدرجة التي يكثر فيها بكاؤه لمجرد العلم بها، ويقل معها ضحكه، ولا شك في أنه «علم يتعلق بعظمة الله وانتقامه ممن يعصيه، والأحوال التي تقع عند النزع والموت، وفي القبر ويوم القيامة»[١٦٨] ،وفي هذا دلالة على اختصاصه ﷺ بمعارف بصرية وقلبية... فقد جمع الله له بين علم اليقين وعين اليقين مع الخشية القلبية واستحضار العظمة الإلهية على وجه لم يجتمع لغيره[١٦٩].

وفي هذه المقابلة-إضافة إلى دلالتها على التحذير والتخويف- من لطف رسول الله e وإشفاقه على أمته ما جعله يخوّفهم بطريق التعميم ويلطف بهم؛ فيلوح ولا يصرح بما يعنى مما لو علموه لتركوا الدنيا نهائياً، ولم يعملوا فيها ولها، فتركهم بين خوف ورجاء.

ومما يؤيد هذا أن هذا الحديث روى بلفظ «**يا أمة محمد، والله لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيراً، ولضحكتم قليلاً**»[١٧١]،ثم إن اختياره ﷺ لـ"لضحكتم" دون "لفرحتم"، اختيار دقيق ؛لموافقته الحال التي كانوا عليها، فقد كانوا يضحكون حينما خرج عليهم رسول الله ﷺ،والضحك فيه فرح وسرور ،لكن مع مصاحبة الصوت، و"الفرح"دون ذلك،وكذلك السرور ،فلا يصاحبه صوت؛ إذ "الفرح:نقيض الحزن قال ثعلب:هو أن يجد في قلبه خِفَّةً"[١٧٢]؛لذا اختير »لضحكتم»،وناسبه مقابلته بالبكاء والموجب له العلم الذي يعلمهﷺ وليس الحزن؛لأن

الحزن نقيض الفرح،وهو خلاف السرور[١٧٢]،والبكاء كثيراً ما يصحبه الصوت،ولاسيما إذا مددت: «قال الفَرَّاءُ وغيره :إذا مددت أردت الصوت الذي يكون مع البكاء، وإذا قصرت أردت الدموع وخروجها»[١٧٣].

فناسب مقتضى حالهم –وهم يضحكون كثيراً وإذا ضحكوا كثيراً يقل بكاؤهم– مقتضى الحال لديهﷺ أعنى: حرصه على أمته وخوفه عليها أو رغبته في ألا يكونوا على تلك الحال، فاستثارهم مذكرا إياهم بما ينبغي أن يكونوا عليه من الإقلال من الضحك؛ لأن كثرته تميت القلب، وتذهب بحيائه، والإكثار من البكاء؛ لأن البكاء يرقق القلوب.

ولعله قد وضح، بعد هذا التناول لهذين الفنين البديعيين:الجناس والطباق، **أنهما إنما جاءا تبعاً للمعنى يسوقهما الموقف والسياق، وأن أياً منهما ما جاء إلا عفواً غير مقصود إليه، وأنهما ولاسيما الجناس وردا بقلة ، والبلاغيون لا يستحسنون من هذه الفنون «إلا ما قل ووقع غير مقصود به ولا متكلف**[١٧٤]، ومع ذلك فكانت تأتى في **اتفاقات لطيفة، واختيارات دقيقة ناشئة عن قدرة وامتلاك لناصية البيان مؤيدة بوحي وتوفيق، وأن قيمتهما الفنية برزت من خلال ارتباطها الوثيق بنسيج النص ، ومن خلال وفائهما بالمعنى المراد، بحيث لم نجد غيرهما أبلغ منهما وأدق في موضعهما.**

وإذا كان اختيار كلمة مُجنّسة أو مطابقة يعد من قبيل الاختيار الاستبدالى من قائمة الاختيارات للأَبْدَالِ المتاحة؛ فإن ذلك يتم على مستوى اللفظ المفرد، وإن رُوْعِيَ في اختياره دقتُه وملاءمتُه موضعَه

؛بحيث لا يكون غيره أليق به منه أو أبلغ في الدلالة على المعنى المراد منه،فهل جاء اختيار الكلمة على مستوى إيقاع الجملة ممثلا في السجع على هذه الشاكلة؟ على الرغم مما عرف عن العرب من شغفهم به وإكثارهم منه ،مما أوقعهم في التكلف أحيانا.

الفصل الثالث

السجع

كان العرب يؤثرون السجع قبل الإسلام في خطبهم وأمثالهم ؛»فما جمعه الرواة من خطب الجاهلين[١٨٥] أكثره مسجوع " [١٨٦]،لكن أكثره لم يصل إلينا، على الرغم من الشهادة التي نقلها الجاحظ في كتابه «البيان والتبيين» عن عبد الصمد بن الفضل بن عيسى الرقاشى – وهو أحد رجال القرن الثاني الهجري[١٨٧] –وكان يؤثر السجع في منثوره ؛فقد قال : «**وما تكلمت به العرب من جيد المنثور أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون؛ فلم يحفظ من المنثور عشره، ولا ضاع من الموزون عشره**» [١٨٨] .

وهذا قول – قيل في معرض الدفاع عن إيثار السجع في الكلام المنثور– يثبت أن السجع كأسلوب كان كثيراً شائعاً مستساغاً من خطباء العرب قبل الإسلام ، يزيده توكيدا ما رواه الجاحظ عن كهان العرب قبل الإسلام مثل كاهن جُهينة وشقّ وسَطيح، وعُزّى سلمة، وغيرهم، وجميعهم كانوا «يتكهنّون ويحكمون بالأسجاع» [١٨٩].

لعل هذا الذي أشار إليه الباحث بإيجاز، يكشف لنا : لماذا خاطب القرآن الكريم العرب متحديا إياهم في بلاغتهم وفصاحتهم وامتلاكهم ناصية البيان بقوله تعالى:(**وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**) (**البقرة:٢٣**)؛فهو من جنس كلامهم وبلسانهم (**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**) (يوسف:٢)؛ فقد كانوا يتفننون في أساليب القول، ومنها فن السجع الذي استعملوه وأكثروا منه، بل يبدو – على ما ذكره مؤرخو الأدب– أنه كان لهم أسلوب مُسَجَّعٌ[١٩٠]،فنزل

القرآن، وبه مما يسميه مَنْ ينفون السجع عن القرآن الكريم الفواصل القرآنية،أو به سجع على مذهب من يذهبون إلى إثباته(١٩١).

وتستطيع أن تعود إلى البيان والتبيين ؛لتقرأ ما رواه الجاحظ من كلام الكهان وخطباء العرب قبل الإسلام، فستجده يقوم على السجع، وستجد من السهل أن تقف على مواضع التكلف فيه(١٩٢)، ولعل من الطريف أن يروى إحدى هذه الخطب رسول الله ؛فقد روى عن خطيب إياد قُسّ بن ساعدة، قال : "**رأيته بسوق عكاظ على جمل أحمر وهو يقول : أيها الناس، اجتمعوا، واسمعوا، وعوا ،من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت [آت]**» (١٩٣).

فإذا كان النبي r قد روى هذا النص لخطيب إياد – والعهدة على الجاحظ – ولم يجد غضاضة في ذكره، فمعنى هذا أنه كأسلوب لم يكن مذموما مطلقا لدى العرب قبل الإسلام، ولا عند رسول الله،وإنما كان مناط الذم أن تستخدم هذه الخاصية الأسلوبية وسيلة لتلبيس الباطل ثوب الحق أو العكس كما كان يفعل الكهان، أو أن تستخدم كوسيلة إلغاز وتعمية على الناس؛ ليوهموهم بما لا يقدرون، وليقنعوهم بما يحكمون مدعين أن ما يفترون إنما هو من علم الغيب،ولذا كان للكهان السهم الوافر في استخدام السجع، وهو ما يذهب إليه أستاذنا شوقي ضيف، حين يقول : "إن حرفة الكهانة في هذا العصر أثمرت ضربا طريفا من السجع كان يتكئ على الأقسام والأيمان الموهمة والألفاظ الغريبة" (١٩٤).

ولأن السجع كان وسيلة بلاغية مقصودة لتأثيرها، سواء من

جانب الكهان، أو خطباء العرب قبل الإسلام ؛ فقد كانت"تستنفد من أصحابها آمادا واسعة من التعب والعناء والجهد والنشاط"[١٩٥].إنه سجع ناتج عن رغبة جامحة في إيقاعه الساحر المؤثر في المتلقين دونما الْتِفَاتٍ للمعنى. **سجع هو غاية، ولذا أتى متكلَّفا معيبا مذموما يبغى طمس الحق.**

موقف النبيﷺ من السجع :

ويبدو لى، أن النبيﷺ كان يعنى هذا ،حينما أنكر على أحد المسلمين مُوبّخا، وكانﷺ قد قضى في دِيَةِ جَنِين بِغُرَّة عبد أو أَمَةٍ، فقال الرجل ولىُّ المرأة التي عليها الحكم : "كيف أغرم يا رسول الله ، من لا شرب، ولا أكل، ولا نطق، ولا استهلَّ، فمثل ذلك يُطَلُّ [يُهْدَرُ] – فقال رسول الله ﷺ معقِّبا على هذا القول المسجوع الذي يبغى إبطال الحكم:"**إنما هذا من إخوان الكهان**»[١٩٦]، وزاد مسلم من رواية يونس:»**من أجل سجعه الذي سجع**» [١٩٧]، وفي رواية أخرى لمسلم من حديث المغيرة بن شعبة «**أسجع كسجع الكهان؟**» [١٩٨].

وقد حاول العلماء بيان وجه إنكاره السجع على هذا الرجل، ومجمل ما قالوه :أن الإنكار كان لمشاكلة كلامه كلام الكهنة[١٩٩]، ولذا استنتج أستاذنا شوقي ضيف أن هذا الحديث يعتبر من أكبر الشواهد وأعظمها على أن الكهان كانوا يستخدمون السجع في كهانتهم[٢٠٠]، وأن هذا الرجل تكلّف السجع في مخاطبته النبي[٢٠١]، وأنه حاول به أن يعارض حكم الشرع راميا إلى إبطاله[٢٠٢].

ولهذه الأسباب تمسَّك مَنْ كره السجع بذمِّه ونفيه عن القرآن

متحرّجا من التقارب الشكلي بين ما في القرآن الكريم من فواصل، وما في كلام الكهنة من سجع متكلف؛ ولذا اصطلحوا لهذه الظاهرة مصطلح الفواصل ؛ «**وهذا غرض فى التسمية نبيل**» [٢٠٣] .

وإذا كان هؤلاء العلماء قد نفوا السجع عن القرآن احتراما وتنزيها للقرآن عن كلام الكهنة، فإن من حق هؤلاء العلماء أن يتعاملوا في تحليل النص القرآني بمصطلحات خاصة به؛ إذ هو خطاب خاص، له أسلوب خاص، ولاسيما أن القرآن نفسه قد حدد مصطلحه هذا، أعنى الفاصلة، حين وصف الحق طريقة القرآن في بناء الآي بقوله تعالى(**كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**) (**فصلت:٣**) ،وكرر المصطلح نفسه في آية أخرى فقال:(**الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ**) (**هود:١**)،واستخدم «نُفصّل الآيات» في ثماني آيات في سبع سور[٢٠٤] .

وقد سبق الزركشى فى الربط بين هذه الآيات وبين إيثار العلماء مصطلح الفاصلة فقال:»ولم يسموها أسجاعا،فأما مناسبة فواصل فلقوله تعالى:(كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ) «[٢٠٥] (فصلت/من الآية:٣) ،والقاعدة العلمية المقررة، أنك لكي تفهم كتابا ما فعليك أن تعرف مصطلحاته، «ومن ثم فإن تخصيص مصطلح للكلام عنه أمر واجب»[٢٠٦].على أنه لا إجماع على كراهية السجع مطلقا، بل إن من العلماء من لم يتحرج في تسمية ما ورد في القرآن على نسق السجع بهذا المصطلح كأبي هلال العسكري وابن الأثير[٢٠٧].

ولا ضير ، فيما يبدو للباحث ، من أن نخص هذه الظاهرة في

القرآن بمصطلح الفواصل؛ففواصل القرآن" مما هو مختص بها،لا شركة بينه وبين سائر الكلام فيها"[٢٠٨]،أما في الحديث الشريف فلا بأس به مصطلحا على ما تناسب فيه آخر الكلمات لفظا،أو ما تواطأت فيه الجملتان من النثر على حرف واحد،وأصله من سجعت الناقة إذا مدَّتْ حنينَها على جهة واحدةٍ[٢٠٩].

وقد ورد السجع في كلامه غير أنه لم يكن –كما سيبدو من تناولنا بعد–يَحْفَلُ به أو يحرص عليه،بل جاء عَفْوَ الخاطر فطرةً أصيلةً محمودةً ،فما ذَمَّ إلا المكروهَ أو المعيبَ منه الذي يأتي "متكلَّفًا بالتعسف، وعلامته أن يكون الحرف لم يحتج إليه لأجل المعنى،وإنما احتيج إليه لأجل التقفية،أو إن كان فيه معنى، فقد ترك الأولى منه لأجل التقفية، وذلك هو السجع القبيح"[٢١٠].

وبعبارة علماء الحديث يقول ابن حجر–رحمه الله–»المكروه منه [أي السجع] ما يقع مع التكلف في معرض مدافعة الحق،وأما ما يقع عفوا بلا تَكَلُّف في الأمور المباحة فجائز...والحاصل أنه إن جمع الأمرين من التكلف وإبطال الحق كان مذموما،وإن اقتصر على أحدهما كان أخف في الذم[٢١١]،والتكلف ينشأ من قصد المنشئ إلي السجع ابتداء،ومن قَصَدَ إلى الأسجاع في كلامه،فلا شك أنه ينصر اللفظ على المعنى،كما يقول عبد القاهر[٢١٢] .

معيار جودة السجع :

وخلاصة هذا أن السجع إن أتى دون قصد إليه وتَعمُّد فجاء عفو الخاطر والبديهة، فهو المحمود، وإن قصد إليه قصدا ولم

يتطلبه المعنى بل جاء لأجل اللفظ، فهو المتكلف المذموم.

وهذا النوع الأخير لم يجئ في كلامه r،وتلك مصادرة أو نتيجة استبقنا بها المقدمات،لكنها واردة فيما بعد مؤيدة بالتحليل الأسلوبي،وهو ما شهد به علماء الحديث والبلاغة:فمن علماء الحديث الإمام النووي الذي يرى أن :" السجع الذي كان النبي ﷺ يقوله في بعض الأوقات، وهو مشهور في الحديث،**فليس من هذا [أي من المذموم] لأنه لا يعارض به حكم الشرع، ولا يتكلفه، فلا نهى فيه، بل هو حسن، ويؤيد ما ذكرنا من التأويل قوله (كسجع الكهان) فأشارإلى أن بعض السجع هو المذموم**،والله أعلم» [٢١٣]،ووافقه ابن حجر فقال:»**وعلى ذلك يحمل ما ورد عنه** " [٢١٤] .

وهو ما زكّاه أبو هلال العسكري في معرض دفاعه عن السجع، وقد أحسن في وضع معيار جودته حين تساءل :»كيف يذمه [أي الرسول] ويكرهه، وإذا سلم من التكلف ويرئ من التعسف لم يكن في جميع صنوف الكلام أحسن منه، وقد جرى عليه كثير من كلامه عليه السلام، كأول شيء تكلم به لما قدم المدينة، وهو قوله :"أيها الناس أفشوا السلام ... فكل هذا يؤذن بفضيلة السجع على شرط البراءة من التكلف والخلو من التعسف»[٢١٥] .

فالتكلف في السجع، وفي كل أمر، شيء لا يحمد، بل وجّه النبي الكريم، إلى اجتنابه في أي كلام، ولاسيما في الدعاء، وهذا ما يُفهم من وصف ابن عباس موقفَ النبي من السجع ؛ فقد روى عنه البخاري أنه قال : «حدِّثِ الناسَ كلَّ جمعة مرة، فإن أبيت فمرتين،

فإن أكثرت، فثلاث مرات، ولا تملّ الناس هذا القرآن، ولا ألفينّك تأتى القوم،وهم في حديث من حديثهم، فتقص عليهم، فتقطع عليهم حديثهم فتملهم، ولكن أنصت، فإذا أمروك فحدثهم، وهم يشتهونه، **فانظر السجع من الدعاء فاجتنبه، فإني رأيت رسول الله وأصحابه لا يفعلون إلا ذلك الاجتناب»** [٢١٦] .

وهذا ما فَطِنَ إليه الإمام ابن حجر؛ فعلّق على هذا الحديث بأن المقصود «من قوله:(لا يفعلون إلا ذلك الاجتناب):أي ترك السجع... **ولا يرد على ذلك ما وقع في الأحاديث الصحيحة**؛لأن ذلك كان يصدر من غير قصد إليه،ولأجل هذا يجيء في غاية الانسجام،كقوله في الجهاد:"**اللهم منزل الكتاب سريع الحساب،هازم الأحزاب**»،وكقوله "صدق وعده، وأَعَزَّ جنده" الحديث،وكقوله:أعوذ بك من عين لا تدمع،ونفس لا تشبع وقلب لا يخشع"،وكلها صحيحة»[٢١٧].

الرد على من زعم أن الرسول ما تجنب أساليب الكهان!

فالعلماء أغلبهم على أن السجع ورد عنده منسجماً غير متكلف؛ فلم يَسْتَكْرِهْ لفظا لأجل السجع؛لأنه لم يقصد إليه ابتداء، غير أننا وجدنا اثنين من الباحثين المحدَثين يزعمان أن في بعض الأحاديث «سجعاً مقصودا»، أحدهما زكى مبارك في كتابه(النثر الفني في القرن الرابع)،حيث قال :»**وفي الأحاديث النبوية سجع مقصود !خلافاً لما ظن المسيو ماسينيون**[٢١٨]،**ومثّل على السجع المقصود بحديث رسول الله "أفشو السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام"** ،ونقل عن الغزالي

بعض الاستعاذات المأثورة، ومنها:**اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، وقلب لا يخشع،ودعاء لا يسمع ونفس لا تشبع**»[٢١٩]،ثم عقّب على ذلك بقوله:»وَلْنُقَيِّدْ أن السجع لا يطَّرِدُ في الحديث كما لا يطَّرِدُ في القرآن، فهو حلية تقصد، ولكنها لا تلتزم؛لما في التزامها من قهر المعاني على متابعة الألفاظ» [٢٢٠]،**ولم يكتف بهذا ، بل زعم أن الرسول ما تجنب أساليب الكهان!**[٢٢١]

وثانيهما مصطفي الصاوي الجوينى في كتابه(البلاغة العربية:تأصيل وتجديد)؛ حيث يقول :»**وتَلْحَظُ في بعض الأحاديث النبوية سجعا مقصودا** !غير أن السجع لا يرد في الحديث [باطّراد[٢٢٢] كما لا يطّرد في القرآن،فهو حلية تقصد ولكنها لا تلتزم؛لأن معنى التزامها أن تصبح المعاني تابعة الألفاظ،وليس الأمر كذلك، كما تعلمون، سواء في القرآن أو في الحديث» [٢٢٣].

هو ،إذن، يزعم أن بعض الأحاديث فيها سجع مقصود ،غير أنه لم يكن يُلتزم دائما، وأراه قد تأثر بزكى مبارك،وهذا الزَّعْمُ في الرأي الأخير يأتي على استحياء ؛ فهو مجرد ملاحظة قد تثبت صحتها وقد لا تثبت، لكنه عند د/زكى مبارك مؤكد موثق بالأمثلة– التي ظنها مؤكدة لزعمه– وسنرى –بعد قليل –مدى صحة هذا الزعم .

ويبدو للباحث أنهما يعنيان بالسجع المقصود في الحديث أن الرسول كان يعمد إليه،ويقصد إلي اجتلابه رغبة في تأثيره على المتلقين،وأنه كان يحرص عليه كما كان الكهان يحرصون،هذا ما يفهم صراحة من كلام زكى مبارك والجوينى، أما قصدية إنشاء

الكلام ابتداء فهذا ما لا يقصدانه؛ لأن ذلك أمر بديهي،وخطورة هذا الزعم أن القصد إلي السجع يوقع حتما في التكلف.

وحتى لا يتهم الباحث بالتحيز أو بالتعاطف مع كلام رسول الله– وإن كان أمراً مشروعا– فسيعمد إلى مقاربة هذا الرأي علميا، من خلال نماذج من أحاديث النبي التي رواها الإمام الليث بن سعد باللفظ مقدما إحصاء بعدد الأحاديث التى اشتملت على السجع بين يدي تناوله،ومن لطيف الموافقات أن الأحاديث التي استشهد بها الباحثان على السجع المقصود عنده قد رواها الإمام الليث ،وسنعمد إلى تحليلها بعد .

وقد بلغ عدد الأحاديث التي ورد فيها سجع أربعين حديثا(٢٢٤)**، وبمقارنة هذا الرقم بعدد الأحاديث المروية بلفظها في الكتب الستة،وتبلغ ستمائة وسبعة وستين حديثا (٦٦٧)، نجد أن النسبة ضئيلة ؛حيث تبلغ (٥,٩٩٪)، ودلالة ذلك أن السجع ليس سمة أسلوبية أثيرة عنده بمعنى أنه كان يحرص عليه**، وإن كان يستعمله في كلامه ،يؤيد هذا حديثُ ابن عباس– رضى الله عنهما– السالف:"**فانظر السجع من الدعاء فاجتنبه،فإني رأيت رسول الله وأصحابه لا يفعلون إلا ذلك الاجتناب**» (٢٢٥) .

ودلالة الحصر السابق تلتقى أيضا مع إقرار هذين العالمين وإقرار غيرهم أن السجع لم يكن يلتزم في كلامه r **غير أن محك الاعتراض على ما ورد من رأيهما في السجع الذي جاء في كلامه يكمن في ادعائهما أن بعض أحاديثه كان يقصد فيها إلى السجع قصدا،**

والقصد إلى السجع يستدعى، بلا ريب، الوقوع في التكلف، لأنه همه سيكون حينئذ منصبا على اللفظ لا المعنى.

وقبل أن نعمد إلى تلك الأحاديث وغيرها التى ادُّعى أن السجع فيها مقصود ،لنتناولها تناولاً أسلوبيا يكشف عما إذا كان الرسول قد ترك لفظة واختار أخرى لأجل السجع، أو بمعنى آخر: لنقارن بين المختار والمستبعد أو المتروك من البدائل التي يمكن أن تكون متاحة أمامه عند إنشائه أحاديثه ،**وقبل ذلك يرى الباحث أن من الضرورى أن نضع بعض الحقائق التي ستفيد في التحليل:**

أولاً: أن «الحديث» الذي نتعامل معه على أنه نص مكتوب،**هو- في الأصل- نص منطوق،** ينتمى إلى اللغة المنطوقة أو إلى الأدب الشفاهى، إذ هو لم يكن مُدَوَّناً أو مكتوباً من قبل، كما أنه **لم يخضع لعملية إعداد مُسْبَقَةٍ قَبْل التكلُّمِ به،** وهذان شرطان يشترطهما «هوجوستيجر» Hugosteger لإدخال نص ما في إطار اللغة المنطوقة، **وهما «يؤكدان عدم الإعداد والقصدية في اللغة المنطوقة»**[٢٢٦].

ثانياً: أن الحديث النبوي الشريف، **عبارة عن استجابة كلامية حَيَّةٍ ومباشرة لموقف كلامي أو سياق ما**؛فهذه الأحاديث المحفوظة الآن نصوصاً مكتوبة، قد كانت حدثاً كلامياً مباشراً لموقف ما ،أو جواباً علي سؤال سائل، أو تعليقاً على موقف ما؛ فلم تكن، نتيجة لذلك، أحاديثَ مُعَدَّةً مُسْبَقاً، أو قُصِدَ إليها مسبقاً، وكيف وأغلب أحاديثه ﷺ كانت وليدة موقف حي لم يكن له به سابق علم؟ ولاسيما

تلك الأحاديث التي تكون جواباً عن سؤال سائل، وهو ﷺ لم يدَّع أنه يعلم ما في الغيب، فأحاديثه، إذن، **كانت تفاعلاً حياً مباشراً للمواقف والسياقات المختلفة التي قيلت فيها.**

وهذا له دلالته على ظاهرة السجع في كلامه ﷺ ،من حيث إن ما ورد في أحاديثه من سجع إنما **جرى على لسانه تلقائياً عفواًمن غير قصد إليه كوسيلة بلاغية تقصد،اللهم إلا أن تكون فطرة أصيلة، ولذا جاء ما ورد منه في أسمى مراتب الانسجام اللفظى.**

يؤكد هذا ما نعلمه وما أقر له به علماء البلاغة والعرب جميعاً من أنه أفصح العرب،وسبق أن أوردنا ما يؤكد هذا ، **ويزيده توكيداً أن القاعدة المعمول بها فيما يخص اللغة المنطوقة «أن الأقوال الشفهية عادة غير معدة «** [٢٢٧] **وتلقائية.**

ثالثاً: أن علينا عند مقاربة النماذج التي ورد بها سجع أو أية سمة بلاغية أخرى أن نحاول مجتهدين أن نتمثل ذلك الأصل الشفاهى للحديث المكتوب. ذلك أن للتعبير المنطوق– ولاسيما إذا صدر من فصيح بليغ بالفطرة –أثراً أكبر في المتلقين من النص المكتوب أو التعبير المكتوب[٢٢٨] ،ولاسيما أن المتلقين لهذا النص قد كانت آذانهم على أعلى درجة من المران والتمييز بين الفروق الصوتية الدقيقة، وهم أشد استجابة للكلام الحسن الإيقاع الصادر عن متكلم مفطور على الفصاحة، وأشد نفوراً من سواه لنبوّه أو افتعاله .

ولذا وصف بعض الباحثين أدب عصر ما قبل الإسلام بالموسيقية، وهو أدب في حقيقته أدب منطوق أو شفاهي، «وتلحظ أسمى درجات

الموسيقية في أوزان الشعر وقوافيه، أما نثرهم [أي العرب] فنراه ممثلاً خير تمثيل في خطبهم ووصاياهم، تلك التي التزم فيها إلى حد كبير تردد أصوات بعينها في نهاية العبارات والجمل [السجع]» (٢٢٩) .

وبناءً على هذه الحقائق أو المقدمات تنتفي قصدية التعمد إلى السجع أو إلى أي وسيلة أسلوبية أخرى؛ فلم يكن الحديث النبوي الشريف يعد مسبقاً، وإن بقى القصد إلى إنشاء الكلام ابتداء، وهذا أمر فطرى يشترك فيه المتكلمون أو المنشئون جميعاً.

يبقى السؤال: هل جاء السجع متكلفاً في أحاديث رسول الله ﷺ، ولاسيما تلك الأحاديث التي زعموا أن بها سجعاً مقصوداً ؟بمعنى أن هذه القصدية قد أدت إلى التكلف؟وهل كان هناك إمكانات متاحة أولى بالاستعمال مما آثره النبي ﷺ بالاختيار؟

يمكننا أن نتناول بعض نماذج من السجع الذي ورد في أحاديثه ﷺ بالتحليل الأسلوبي و فق الموضوعات التي ورد فيها، ويمكن تصنيفها كما يلي :

أولاً: ما ورد من سجع في الدعاء.

ثانياً: ما ورد من سجع في موضوعات مختلفة.

أولاً: ما ورد من سجع في الدعاء :

سبق أن ذكرنا توصيف ابن عباس ما رأي عليه رسوله ﷺ وصحابته الكرام باجتناب السجع في الدعاء، وبينا أن المراد به ترك تكلفه، إذ كان يجرى على ألسنتهم سليقة وفطرة أصيلة، لا تركه مطلقاً، أو بمعنى آخر ترك القصد إليه والتعمد، لأنه غالباً ما

يوقع صاحبه في التكلف؛ ولذلك كانﷺ لا يحرص عليه، وإنما يرد عنده عفواً، ونستطيع أن نأخذ أنموذجاً من أحاديثه ﷺفي الدعاء، كقولهﷺ:"اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعاء لا يسمع» (٢٣٠) .

وأول ما يلاحظ على هذا الحديث: أنه مكون من عدة جمل قصيرة ذات إيقاع واحد تقريباً، وهذه دلالة على أنه نص شفاهي في الأصل، إذ تميل اللغة المنطوقة ميلاً قوياً إلى بناء قطع صغيرة من الكلام» (٢٣١) .**وثانيها:** أن الحديث مبنى على جملة رئيسة، هي الجملة الأولى فيه :»اللهم إنى أعوذ بك من علم لا ينفع»، وأن بقية الجمل معطوفة عليها متتابعة، وأداة العطف فيها «الواو» ،وهى من أدوات الربط التي تميل اللغة المنطوقة، إلى استخدامها في الكلام(٢٣٢)، **وأن الجمل المتتابعة المعطوفة على الجملة الأولى قد حذف منها بعض الكلام، وهو قوله «اللهم إنى أعوذ بك»؛ لدلالة السياق والمقام عليه، وقد كان لهذا أثره في قوة الإيقاع وقصره. واستعاض عن ذكر هذا المحذوف بالعطف على الجملة الأولى.**

وقد أوضحنا أن اللغة المنطوقة، لا تخضع لما تخضع له اللغة المكتوبة، من إعداد مسبق وقصد إلى الكلام، بمعنى النظر والتروى فيما سيقوله المتكلم، وأن «الحديث» كان عبارة عن ممارسة لغوية حية واجتماعية، ومع ذلك، فلا تجد في الحديث لفظة تشعر أنها قد استدعيت لأجل السجع في الحديث –مع أن السجع في الحديث يمكن أن نعده من ذلك النوع الذي يصفه البلاغيون بالمتوازي: وهو

الذي تتفق فيه الكلمتان الأخيرتان من الجملتين أو الفقرتين في الوزن والروي، وهو أشرف أنواع السجع، كما يقول الزركشى[٢٣٣] -أو أن غيرها أدق منها في موقعها، ولو أننا ذهبنا نحاول أن نستبدل بكلمة مسجوعة أو فاصلة في الحديث أخرى لذهب إيقاع الحديث المؤثر، ولضاعت فصاحته.

وواضح أن السجع في الحديث يسيل على اللسان بلا افتعال أو تعمل أو تطلب له؛ فالرسول ﷺ قد استعاذ من علم غير نافع، وقلب غير خاشع، ونفس غير شابعة، ودعاء لا يسمع له، والعلم أهم ما يرجى منه أن ينفع صاحبه وغيره، ونفع العلم أهم صفة تجعله مثمراً وفي سبيل الخير، **ولو عبر، مثلاً بـ «من علم لا يثمر» ،فإن ثمر العلم إما أن يكون ثمرة ضارة أو ثمرة نافعة، والأولى ما لم يرده الرسولﷺ، وإنما أراد العلم النافع الذي ينفع صاحبه والناس أجمعين، ولذا اختار ما آثره في الحديث.**

وكذلك اختياره الفعل «يخشع» المنفي مع القلب المستعاذ منه؛ فمعلوم أن أهم ما يبتغى من قلب المؤمن أن يخشع لله تعالى، والآيات كثيرة على هذا منها قوله تعالى: } أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ{ **(الحديد: من الآية١٦)فالقلب مؤمن، إذن، لكن ربما يكون غير خاشع، وهذا ما يستعيذ منهﷺ ربه، وهذا أدق على المراد من قوله مثلاً "ومن قلب لا يدعو" أو "من قلب لا يحب "فهو ما لا يراد هنا.**

وحينما أراد أن يستعيذ من النفس استعاذ من النفس التي لا تشبع، فقد أراد النفس التي تقنع بما رزقها الله ،لا تلك النَّهِمَة الشَّرِهَة الحريصة الطامعة المتعلقة بالدنيا التي إن أعطيت واديا من ذَهَب لتمنت له ثانياً؛ لأن النفس التي تقنع، ستشكر ربها،إن زادها من الخير، وستصبر، وتحمد، إن قتر عليها، وأهم صفة للنفس النهمة الشرهة أنها لا تشبع أبداً،وهذا ما ناسب أن يستعيذ ﷺ منه.

أما قوله ﷺ "ومن دعاء لا يسمع» ،**فقد يُتَوَهَّمُ أن الفعل «لا يُسمع» قد تُطُلِّبَ للسجع، ونحب**

أن نذكر أن هذا الجزء من الحديث قد روى بلفظ آخر، هو قوله «ودعوة لا تستجاب» [٢٣٤] **، وهذا هو المراد من اللفظ الأول: أن الدعاء لا يستجاب من الله ، فإما أن يكون هذا تدخلاً من الراوي، وإما أن يكون اللفظ فعلاً من النبي ﷺ، وهو ما أميل إليه؛ فيحتمل التكرار الدعاء باللفظين. ولاسيما أنا نرى في التعبير بـ "من دعاء لا يسمع"، فضلاً عن موافقة نهايات الجمل السابقة ، إيحاء بالإعراض وعدم رفع الدعاء إلى الله** ؛ فيكون فيه شيء من تصوير حال الدعاء حين لا يستجاب، **فالمرء قد يدعو ربه U ،والله معرض عنه غير مقبل عليه، ولا متقبل دعاءه وهو المراد من قوله لا يسمع.**

ولا شك أن هذا المعنى لا تجده في قوله «لا تستجاب» فهذه دلالة مباشرة،وتلك دلالة أوقع لما فيها من معنى الإيحاء والتصوير،

ولما فيها من تأثير على نفس الداعي الذي قد يشعر أن ربه معرض عنه غير مقبل عليه،لما هو مقيم عليه من ذنوب أوأكل حرام.

فجاء الحديث، إذن على نمطه المختار اختياراً فطرياً عفوياً مسجوعاً محققاً إيقاعاً متوازياً، ودلالات لا تتأتى بغير ما جاء عليه لفظ الحديث(والله أعلم) ،والدعاء إن جاء مسجوعاً بلا تكلف ولا قصد إلى السجع، فلا بأس به؛ لأنه إن قصد إليه قصدا فهو مظنة لذهاب ما ينبغي أن يكون عليه العبد في دعائه الله من خشوع وتذلل.

ولهذا استدل العلماء بهذا الحديث وغيره من الأدعية التي يرد بها سجع- كما يقول النووى- على "أن السجع المذموم في الدعاء هو المتكلف؛ فإنه يُذْهِبُ الخشوع والخضوع والإخلاص، ويلهى عن الضراعة والافتقار وفراغ القلب، فأما ما حصل بلا تكلف ولا إعمال فكر ؛ لكمال الفصاحة ونحو ذلك، أو كان محفوظاً؛ فلا بأس به، بل هو حسن» [٢٣٥] .

وقد جاء السجع في الحديث غير متكلف،لأنه ورد عفواً تلقائياً بلا إعمال فكر وتأهب لطلبه، ولعدم القصد إليه ابتداء، ولذا كان يكره ﷺ "تكلف السجع في الدعاء، وإن "وقع في كثير من الأدعية والمخاطبات سجع، لكنه في غاية الانسجام المشعر بأنه وقع بغير قصد" [٢٣٦] بل لم يقصد إليه أصلاً، كما أوضحنا.

ثانياً: ما ورد من سجع في موضوعات مختلفة :

تنوعت الموضوعات التي ورد فيها سجع عنده ﷺ ،وذلك ناتج

من عدم الحرص عليه في موضوعات بعينها، فقد يرد في حديث عن الدعوة إلى التحلى بمكارم الأخلاق، أو بيان ثقل مسئولية الولاية، أو بيان أي النساء أفضل، أو يرد في كلامه ﷺ تعقيباً على حادثة أو موقف ما، مما يؤكد عفوية وروده عنده ﷺ وسنمثل بعضها :

أ–ما ورد من سجع في إطار الدعوة إلى التحلي بالأخلاق الكريمة والعمل الصالح :

منه قولهﷺ:»**أفشوا السلام،وأطعموا الطعام، وصِلُوا الأرحام،وصَلُّوا بالليل والناس نِيَامٌ،تدخلواالجنة بسلام**» (٢٣٧) الذي أورده زكى مبارك تدليلاً على السجع المقصود في كلامهﷺ! (٢٣٨) ،وقد روي بلفظ: «تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف»جواباً على سؤال أحد المسلمين:»أي الإسلام خير؟» (٢٣٩) .وأورده ابن ماجه في سننه عن عبدالله بن سلام، مبيناً مناسبته. قال: «لما قدم النبي ﷺالمدينة انجفل الناس قبله ، وقيل: قد قدم رسول الله ﷺ، قد قدم رسول اللهﷺ ،قد قدم رسول الله ﷺ ثلاثاً، فجئت في الناس؛ لأنظر، فلما تبينت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب، فكأن أول شيء سمعته تكلم به أن قال: "**يا أيها الناس: أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام**» (٢٤٠) .

وإيقاع السجع في الحديث جلي، وهو في الجملتين الأوليين من المتوازي المتفق في الوزن والروي بين كلمتي «الطعام» و»السلام»، وفي بقية الحديث من المطرف، على أنه لا قيمة كبيرة لهذه

التقسيمات. ولنحاول أن نسترجع الإمكانات اللغوية التي يتيحها نظام اللغة، لنقارن بينها وبين ما اختارهﷺ لنرى هل استدعى النبي ﷺ لفظة أو استكرهها رغبة في السجع وإيقاعه المؤثر، وهل المتروكة أدق من المختارة في إيصال المعنى المراد؟ وهذه هي الكلمات التي وقع السجع بينها: (السلام، والطعام، والأرحام، وينام، وسلام).

ومن حيث الكلمة الأولى في جملتها (أفشوا السلام)، **فقد كان يمكن أن يقول النبي الكريم ﷺ بدلاً منها "التحية" أو "عم صباحاً أو مساءً"** كما كانوا يحيون بعضهم؛ فهل الاختيار المتروك أفضل وأدق مما اختير في الدلالة على المعنى؟

إن كلمة «التَّحِيَّة» تشمل: «السلام عليكم، وصباح الخير، ومساء الخير، وعِمْ صباحاً أو عم مساء، أو أية تحية أخرى، **و النبي ﷺ أراد إفشاء التحية الخاصة بالمسلمين، وقد كانت تحية جديدة على العرب آنذاك؛ فلكي لا يلتبس الأمر على المتلقين المسلمين، ولتخصيص صيغة معينة وهى تحية الإسلام (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته)؛ وليكون الاختيار أدق على المراد،اختار النبيﷺ"أفشوا السلام" ،لا "أفشوا التحية".**

وكذلك، كان اختيار كلمة الطعام مع أطعموا، فاختار إطلاق اسم الطعام؛ لأنه اسم جامع لأي نوع من المأكولات، فلم يقل: الثريد أو التمر أو العنب مثلاً، أو غير ذلك؛ لأنه لو خص نوعا ما لاقتصر الأمر بإطعام الطعام عليه، أو هكذا سيفهم، وهذا ما لا يراد، **فاخْتِيرَ «الطعام»؛ ليشمل جميع أنواعه، قَلَّ أو كَثُرَ، غلا ثمنه أو رخص.**

وقد كان الاختيار أنسب وأدق أيضاً مع كلمة «الأرحام» مع الأمر بصلة الرحم، **وقد كان يمكنه أن يعبر: بالأقارب أو إخوانكم أو أعمامكم، واختيار واحدة من قائمة البدائل المذكورة آنفاً، لن يدل على الدلالة التي توخاها رسول الله ﷺ، وهى صلة الرحم على إطلاقها ،سواء رحم الأنساب من جهة الأب أو الأم أو من جهة الرابطة الجديدة عليهم، وهى "الدين"، وفي جمعها (أي كلمة الأرحام)إشارة إلى ذلك: أي إلى أن هناك أكثر من رحم؛ فهناك رحم الدم والقرابة، وهناك رحم الدين التي قال الله فيها:**} إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ {**(الحجرات: من الآية١٠.)**

ومناسبة الحديث التي وردت في رواية ابن ماجة ترجّح ما نذهب إليه؛ فالنبي ﷺ والمهاجرون معه وقبله عاملهم الأنصارعلى أنهم أخوة من النسب، بل ربما أقوى، بل آخى بينهم النبي ﷺ بعدما **كانوا في أشد حالات الاحتياج إلى صلة إخوانهم** الأنصار، كما هو معلوم.

وغَنِيٌّ عن البيان أنهﷺ لو عبر "بإخوانكم" أو "بآبائكم"، لم تكن تلك لتدل دلالة الأرحام جمعاً شاملة رحم النسب والدين، ولذلك آثرها القرآن، فعبر بها جمعاً فقال: } **وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ** {(النساء: من الآية١) .

وأما كلمة "نُيّام" [بضم النون وتشديد الياء]" في سياقها (وصلوا بالليل والناس نيام)؛ فبلاغة اختيارها وذكرها أعظم من غيرها أو من حذفها؛ فكان يجوز لهﷺأن يقول:"وصلوا بالليل" ويسكت،أو يقول

"وصلوا بالليل والناس نائمون أو ساهون أو غافلون"،**وتكمن دقة اختيار كلمة** « نُيّام»–**أو نِيَام بكسر النون وفتح الياء–لمناسبتها ذكر الليل قبلها،ولدلالتها الضمنية على الغفلة من الناس، وكثرة هذه الغفلة منهم، وهولا يدل عليه لفظ «نائمون» أو»ساهون» دلالة دقيقة.**

فأما أن «نُيّام» تدل على كثرة الغَفْلَة؛ فلأنها جمع «نَيّام» ونَيّام على وزن «فَعّال» ،وهى صيغة قياسية من صيغ المبالغة، تدل على كثرة حدوث الفعل(٢٤١) ،وإذا كانت على وزن «فِعَال» أي «نِيَام» فتكون جمعاً لـ «نَوْمَان» كـ «غضبان، فتجمع على نيام كغضاب، وهو جمع كثرة أيضاً(٢٤٢) .

<u>وفي الحالتين دلالتها على الكثرة أعظم وأدق من التعبير بصيغة جمع المذكر السالم وهى مع ذلك متضمنة معاني الغفلة والسهو والرقود، فيكون اختيارها لأنها الأنسب والأدق والأدل على المعنى، وليس اجتلاباً للسجع.</u>

إنها، إذن، تدل على كثرة غفلة الناس عن اغتنام هذه الأوقات، أوقات قيام الليل، ولاسيما الثلث الأخير منه، وعلى كثرة هؤلاء الغافلين، فضلاً عن مناسبتها ما ذكر قبلها؛ فهل كلمة من البدائل التي طرحناها أدق وأدل على هذه المعاني منها؟!

أما الكلمة الأخيرة **فقد يُتَشَبّثُ بأنه كان يمكن حذفها أصلاً**، فكان يمكن أن يقول: «تدخلوا الجنة» فحسب،**وقد يقال: إنما أتى بها بقصد توافق فقرات السجع؟** لكن السؤال هل المعنى مع ذكرها هو

نفسه مع حذفها؟ هنا يكون المعيار.

إن معنى أن يقول النبي الكريمﷺ "تدخلوا الجنة بسلام"،يقتضى أن هناك دخولاً للجنة بغير سلام.وهذا حق ومعلوم،وقد ورد عن الشرع ذلك،فمن المسلمين من يدخل الجنة بسلام أي بدون أذى أو عذاب،ومنهم من يدخلها بعد أن يعذب في النار على قدر ذنوبه،ومن هؤلاء عتقاء الرحمن الذين يخرجهم الله من النار بقبضة يقبضها من النار؛"فيخرج أقواماً قد امتحشوا،فيلقون في نهر بأفواه الجنة... فيدخلهم الجنة بغير عمل عملوه،ولا خير قدموه" (٢٤٣) .

فهل يستوي دخول الجنة بسلام أي بدون أذى أو عذاب ودخولها بعد عذاب؟! إن كلمة «بسلام» لَتَتَضَمّنُ بشرى لمن يستجيب لهذه الأوامر من رسول الله ﷺ أو النصائح النبوية، وإنها لتثمر في قلوب أناس يفطنون إلى الفروق الدقيقة للدلالات اللغوية؛ لأنهم أهل فصاحة وبلاغة ؛فتثمر في قلوبهم رغبة حقيقية في الاستجابة، وفي سلوكهم تجسيداً حياً لهذه **الأوامر**.

أضفْ **إلى ما سَلَفَ من تحليل**، أن الرسول ﷺ خصَّ إطعام الطعام، وإفشاء السلام، وصِلَةَ الأرحام؛ لما في ذلك من مسيس حاجة المسلمين آنذاك، وقت دخولهم المدينة مهاجرين مُجْهَدِينَ، ولِبَثِّ الحيوية والدافاعية في قلوب الأنصار؛ لترقيقها؛ حثاً لهم على الكرم؛ وإظهاراً لمحبة إخوانهم بإلقاء السلام عليهم وإفشائه بينهم؛ كي لا يشعر إخوانهم المهاجرون بالاغتراب، ورواية ابن ماجة السابقة دليل على ذلك .

اتضح، إذن، أن السجع الوارد في هذا الحديث لم يكن مقصوداً إليه، ولا جاء متكلفاً مستكرهاً، ولو في بعض كلماته، فلم تجتلب لفظة رعاية لإيقاعها وسجعها. **وليس أدل على ذلك من الرواية الأخرى للحديث عند مسلم إجابة على نفس السؤال:** أي الإسلام أفضل؟ **أو أي الإسلام خير؛ حيث أجاب** «من سلم المسلمون من لسانه ويده» (٢٤٤) ؛ فمرة أجاب:»**تطعم الطعام وتقرأ السلام**»،ومرة أخرى أجاب:»**من سلم المسلمون من لسانه ويده**».

وهذا يعنى **أن كلامهﷺ كان تلقائياً مباشراً بحسب الموقف والسياق وما تستدعيه مصلحة المسلمين، وما آتاه الله من علم بحال السائل الذي قد يختلف عن سائل آخر، فيجيب كلا بما يناسبه، ويصلح شأنه؛** قال النووي: «وإنما وقع اختلاف الجواب في خير المسلمين لاختلاف حال السائل والحاضرين، فكان في أحد الموضعين الحاجة إلى إفشاء السلام وإطعام الطعام أكثر وأهم لما حصل من إهمالهما والتساهل في أمورهما، ونحو ذلك، وفي الموضع الآخر إلى الكف عن إيذاء المسلمين» (٢٤٥) .

ب- ما ورد من سجع في بيان خيرية النساء :

سئل رسول الله ﷺ: أيُّ النساء خير؟ فقال: "**التي تسرُّهُ إذا نَظَرَ، وتطيعه إذا أَمَرَ، ولا تخالفه في نفسها ومالها بما يكره**» (٢٤٦)

.السجع في الحديث من المتوازي بين «نظر» و»أمر»، فقد اتفقا في الوزن والروي، **وقد كان يمكن أن يقول: «التي تسره إذا أبصرها، أو «أبصر» بدل «نظر»**؛ فلا يصبح السجع من المتوازى الذي يتفق

في الوزن والروي، بل يصبح مطرفاً أو متطرفاً؛ **فهل استبعد الرسول ﷺ "أبصر" حرصاً منه على الإيقاع والسجع؟** سؤال تكشف الإجابة عنه **عما إذا كان الرسول ﷺ قصد إلى السجع قصداً فتكلفه أم لا؟**

وأول ما ينبغي أن نلتفت إليه أن كلامه ﷺ في هذا الحديث جاء رداً مباشراً أو إجابة مباشرة على سؤال طرح عليه ،وهذا يعنى أنه رد على السائل رداً تلقائياً مستعيناً بفطرته البلاغية الأصيلة وفصاحته المشهود له بها، **فهل وفقت هذه البلاغة الفطرية في اختيار الأنسب والأدق والأبلغ رغم أنه مسجوع؟** إن كلا الفعلين «نظر» و»أبصر» يدلان على الرؤية الحسية، **غير أن «البصر» يتعلق غالباً، بالرؤية الحسية الظاهرة، دون غور إلى دلالات الصورة المرئية؛** ففي اللسان «وأبصرت الشيء: رأيته [قال]... ابن سيدة: البصر حس العين، والجمع أبصار» (٢٤٧) .

بينما «**النظر» ينطلق كذلك من الرؤية الظاهرية لإدراك الدلالة الباطنية للصورة المرئية، أو قل:»نظر»يسبر أغوار الصورة المرئية، ويفطن إلى ما وراءها**، والرسول ﷺ لا يعنى مجرد الدلالة على الصورة الظاهرية أو الحس الظاهر للمرأة أو جمال الشكل، بل أراد أيضاً حسن الباطن وجماله أولنقل:**حسن الخلق والخلق معاً، وهذا الجمال الباطني لا يدرك إلا بالتأمل والفكر والتدبر**؛يؤيد هذا ما نقله ابن منظور عن الجوهري؛ حيث قال: «**النظر: تأمل الشيء بالعين**» (٢٤٨) وقال أيضاً: «**والنظر: الفكر في الشيء تقدره وتقيسه منك**» (٢٤٩) .

فإدراك جمال المظهر والمخبر لا يكون إلا بالنظر، وليس بمجرد الإبصار بالعين، ولذا عبر الرسول ﷺ بـ "نظر" للدلالة على الأمرين معاً، أي أن السرور من المرأة مبعثُه ليس فقط **جمال الخَلْق**، بل من **جمال الخُلُق** أيضاً، وقد يجتمعان؛ وذا ما فهمه السِّنْدِيُّ في تعليقه على هذا الحديث فقال: «تسره أي الزوج «إذا نظر: أي لحسنها ظاهراً، ولحسن أخلاقها باطناً، ودوام اشتغالها بطاعة الله والتقوى» [٢٥٠] .وعلى هذا الفرق في الدلالة جرى الاستعمال القرآني لمادة «نظر»؛ قال تعالى: } **قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ**{ (العنكبوت: من الآية٢٠) وورد ذلك في كثير من الآيات. **فمعرفة كيف بدأ الخلق لن تتأتى من مجرد الإبصار بالعين ، بل من تدقيق النظر والتأمل والتفكر في المنظور من ملكوت الله في السموات والأرض.**

وهذا يجرى على الاستعمال العربي للفعل نظر ،كذلك؛فالنظر في كلام العرب يأتي على وجوه،**منها نظر الدلائل والاعتبار والتأمل والنفاذ إلى بواطن الأمور**[٢٥١]، أما البصر ومنها أبصر وتبصر ،**فتأتى غالباً بمعنى الرؤية البصرية**،ومن ذلك قول زهير بن أبى سلمى:

تَبَصّرْ خليلِى، هل ترى من ظعائنَ* تَحَمَّلْنَ بالعلياء من فوق جُرْثُمِ**[٢٥٢]

فإذا أريد من الرؤية مجرد النظر، ناسبه التعبير بالبصر ومشتقاتها، أما إذا أريد التعبير عن الرؤية التأملية التي تستبطن دواخل الأشياء، وتُعْنى بما فيها من حقائق وتناسق وجمال، عبر بالنظر ومشتقاتها، لدقتها في الدلالة.

ولا شك في أن للسياق دوراً هاماً في تعيين الدلالة؛ فالحديث جواب لسؤل سائل عن خير النساء، وما أراده الرسول ﷺ من جوابه باختيار "نظر" في جملة "التي تسره إذا نظر" أي التي تسره بما فيها من جمال الخَلق والخلُق،ولا يدل على الجمال الظاهري والباطني أو جمال الشكل والجوهر سوى "نظر" دون "أبصر"؛ ولذلك آثرها النبي ﷺ بالاختيار،واستبعد "أبصر"؛ لانصراف الذهن بسماعها إلى جمال الشكل ، وهو ما يتفق مع مدلول قوله ﷺ:»**فعليك بذات الدين تربت يداك**» (٢٥٣) .

ج –ما ورد من سجع في بيان ثقل المسئولية :

وكذلك تجد المعنى هو الذي تطلب من الرسولﷺاختيار كلمة "ندامة" وليس خسارة، مثلاً، في قوله مجيباً أبا ذرtوقد طلب منه أن يستعمله:"**يا أبا ذر! إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خِزْيٌ ونَدَامَةٌ، إلا من أخذها بحقها، وأدّى الذي عليه فيها** « (٢٥٤) ،فقد كان جائزاً أن يختار الكلمة المتروكة(خسارة) وهى على ذات الوزن، فلن يتغير الإيقاع، ولن يضيع أثر السجع، غير أن وقوع السجع في كلامهﷺ غير متعمد أو مقصود، ولذلك لا تجده متكلفاً؛ فكلمة (ندامة) تفيد بعد "الخزى" في السياق،معنى الخسارة،**وتزيد عليها ما تتضمنه من دلالة على تصوير حال من لم يؤد أمانة المسئولية التي أوكلت إليه في الدنيا، كما ينبغى ففيها معنى الخسارة،وتزيد عليه تصوير مشاعر الخاسر من ألم وحسرة وندم وقت لا ينفع الندم.**

د- ما ورد من سجع تعقيباً على حادثة ما :

من ذلك قوله ﷺ عقب انتصار المسلمين على المشركين في غزوة الأحزاب، اعترافاً بفضل الله عليه "**لا إله إلا الله وحده، أعز جنده، ونصر عبده، وغلب الأحزاب وحده، فلا شيء بعده**» (٢٥٥). والسجع في الحديث من الإيقاع المتوازي، فهو متفق في الوزن والروي إلا في كلمة «جنده» فاختلف الوزن، **فهل هو متكلف؟ وهل تكرار كلمتين من فقرتى السجع، وهى(وحده) دليل تعمد أو قصد إلى السجع؟وهل هناك ما هو أولى بالاختيار مما أختارهﷺ؟**

إن السجع إذا جاء لمجرد المحافظة على توافق نهايات الجمل أو الفواصل، فسيكون متكلفاً؛ «**فلا تحسن المحافظة على الفواصل لمجردها إلا مع بقاء المعاني على سردها على المنهج الذي يقتضيه حسن النظم والتئامه، فأما أن تهمل المعاني ويهتم بتحسين اللفظ وحده غير منظور فيه إلى مؤداه، فليس من قبيل البلاغة**» (٢٥٤) .

والذي يقصده الزمخشرى من كلامه هذا الذي نقله عنه السيوطى أن يترك المنشئ اللفظ يجرى على حد تعبير الجاحظ «**على سجيته وعلى سلامته، حتى يخرج على غير صنعة،ولا اجتلاب تأليف، ولا التماس قافية، ولا تَكَلُّفٍ لوزن**» (٢٥٥) .

ووصف الجاحظ هذا ينطبق تماماً على الحديث، فكلمة (وحده) الأولى، **لمزيد التأكيد على ألوهية الله تعالى ووحدانيته**، والثانية في الحديث في جملة «وغلب الأحزاب وحده» **للتأكيد على أن هزيمة الأحزاب التي اجتمعت على المسلمين بالمدينة كانت «من**

غير قتال الآدميين، بل أرسل عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها» [٢٥٦] ، وهو أمر معلوم لا يحتاج إلى مزيد شرح من الباحث يكفى فيه قوله تعالى:} إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً{(الأحزاب: من الآية: ٩).

فليست كلمة (وحده) في الأولى، والآخرة قد قصد إليها لأجل السجع، بل اجتلبها المعنى والسياق للتأكيد على ألوهية الله ووحدانيته، وللتأكيد على هزيمته قبائل الكفار والمشركين بدون تدخل من قتال الآدميين. ولاسيما أن هذا الحديث يبدو تعليقاً منه واعترافاً بفضل الله على رسوله ﷺ ؛إذ استجاب دعوتهﷺ على الأحزاب: "اللهم منزل الكتاب سريع الحساب، اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم" [٢٥٧] .

وقد ناسب ذلك أن يُنْسَبَ إليه وحده عِزَّةُ جنده الذين نصرهم، وقدم "أعز جنده"، على (نصر عبده) تواضعاً منه ﷺ ،واختار إشارة إلى نفسه ﷺ لفظ (عبده) دون "رسوله" مثلاً؛**لأن المقام مقام تَذَلُّلٍ وتَصَاغُرٍ وخضوع بين يدى الله تعالى،** لامقام تعظيم وتشريف .

وأما قوله (فلا شيء بعده) فالقصد أنه القوة المطلقة الباقية وأن جميع ما عداها إلى عدم وزوال أو أن المراد أن كل شيء يفنى وهو الباقي، فإن في تقرير ذلك نصحاً وإرشاداً إلى ضرورة الركون دائماً إلى قوة الله ونصره، لأنه الباقي بعد كل شيء[٢٥٨] .

فالسجع في الحديث، تراه يجيء بلا إعمال فكر، ولا تعمد لطلبه، واستكراه للفظه،بل ورد بديهة عفو الخاطر، مدعوماً ببلاغة

فطرية، ولذا قال ابن حجر تعليقاً على السجع في هذا الحديث: «هو من السجع المحمود، والفرق بينه وبين المذموم؛ أن المذموم ما يأتى بتكلف واستكراه، والمحمود ما جاء بانسجام واتفاق» [٢٥٩].

مما قدم الباحث فإنه يرى أن ما ورد من سجع في أحاديثهﷺإنما جاء على أكمل وجه وأتم نظم،وما ذاك إلا لأنه لم يكن يتعمد اختيار السجعات أو الكلمات المسجوعة،بل كانت ترد في كلامه عفوية تلقائية غير مقصودة؛ فاختيارها اختيار فطرى ممن خبر اللغة،وامتلك ناصيتها.

تلك نتيجة تدحض ما ادعاه بعض الباحثين أن في الأحاديث النبوية سجعاً مقصوداً، وأنه يماثل سجع المتدينين من أصحاب الديانات الأخرى،وتلتقى مع ما قرره علماؤنا كابن حجر والنووي وأبى هلال العسكري وغيرهم، كما أسلفنا، وخلاصة ما قرروه «أن كلام الرسول ﷺ ، وإن تضمن بعض السجعات؛ فهي عفوية غير مقصودة؛لأنه يتجه بكلامه إلى الوجدان والمشاعر ولا ينطق عن الهوى ،وأسجاعه تتسم بالندرة إذا قيست بما روى وبما خطب،فخطبة الوداع على كبرها نسبياً،لا تجد فيها سوى سجعة واحدة:"إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد" [٢٦٠].

وقد اجتهد الباحث أن يطبق منهجاً من أحدث مناهج التحليل الأسلوبى،وهو منهج استرجاع الإمكانات المتاحة، فاتضح من خلاله، أن اختيارهﷺ كان، دائماً الأدق والأنسب والأبلغ والأول على المعنى المراد. وإذا لم يكن ثمة قدرة على أن نستبدل بكلمة وقعت

سجعة أو فاصلة أخرى أدق منها وأنسب في مكانها في كلامه ﷺ فذلك السجع الذي يأتي على أتم وجوه البلاغة. سجع هو أشبه بالنغمة الموسيقية. سجع يقوده معناه إلى لفظه ويقتضيه سياق الكلام والموقف،أو قل:سجع إيقاعه إيقاع طبيعي غير مفتعل؛ لأن المتكلم به يختار من الكلمات ما يقودك إلى الإقرار بأنه اختيار من أحاط باللغة إحاطة شاملة، واستوعبها استيعاب الحاذق البصير، فانقادت له وألقت إليه بقيادها، فتصرف في كلماتها تصرف من يعتصر منها أجمل ما فيها من إيقاع مؤثر، وموسيقى ساحرة، مع تمام المعنى؛ فلست بواجد في كلامهﷺعامة، أو في سجعاته "لفظة مستدعاة للفظها [أو لأجل السجع] أو مستكرهة عليه، ولا كلمة غيرها أتم منها أداءً للمعنى، وتأتياً لسره في الاستعمال"[٢٦١].

وإذا أضفنا إلى ذلك ما قدمنا من حقائق عن الحديث الشريف، وأهمها أنه كان نصاً منطوقاً في الأصل، يدرك أولاً بالسماع، عن طريق الأذن، وأن الجماعة اللغوية العربية في عصره وبعد عصره، كانت جماعة شفهية تعتمد على الأذن التي لا يعوزها المران والدربة والتمييز بين الحسن والقبيح أو المتكلف والجيد من الكلام –أدركنا **لماذا جاء السجع في كلامه ﷺ في أعلى درجات البلاغة**؛ فإن العرب؛ لاعتمادهم على السمع في المعرفة أرهفوا أسماعهم وأصبحت أذنهم أذناً موسيقية بكل ما تعنيه الكلمة من دلالة على الإيقاع والنغم وتناسب الألفاظ، ولذا اعتنوا بموسيقية الكلام اعتناء فطرياً أصيلاً، لأنهم لم يكونوا أهل كتاب وقراءة، بل أهل سماع وإنشاد[٢٦٢] .

ولعل السجع أعلاها،وإنه لمشهور مجمع عليه أنه e كان أفصح العرب،حتى إن صحابته الكرام كانوا يتعجبون أحياناً من فصاحته وبلاغته[٢٦٣] ،ونعنى أنه ﷺ كان فرداً من أفراد هذه الجماعة،**تربى على هذه الثقافة الشفهية السماعية التي تقدر للفظ إيقاعه وموسيقاه،فكان ذلك فطرة أصيلة فيه،ثم كان تأييده بالوحى أو التوفيق الذي أيده به ربه سبباً آخر في أن يأتي كلامه،سواء اشتمل على سجع،أو جناس،أو طباق طبعاً عفو الخاطر**

وعلى ذا؛ فالقصدية التي نفيناها عن سجعه ﷺ ، ولم نوافق عليها زكى مبارك ومصطفي الصاوي الجوينى، **إنما هى قصدية التعمد التي تجتلب،لا شك، التكلف والتعسف،** لا قصدية إنشاء الكلام، ابتداء؛ **فمن يقصد إلى الأسجاع في كلامه، ويجعل همه تحسين اللفظ وإيقاعه سينصر جانب اللفظ على جانب المعنى، وسيوقعه ذلك، بلا ريب، ولو في بعض كلامه، في استكراه الألفاظ واستجلابها لأدنى مناسبة أو لغير مناسبة للمعنى، بل قد يوقعه ذلك في الإبهام والإلغاز، كما رأينا في أقوال عزى سلمة ومسيلمة الكذاب وغيرهما من الكهان.**

والقصد الأساسى للكلام هو الإبانة والبلوغ أو التبليغ أعنى تبليغ المخاطب ما يريده المنشئ بأدق الألفاظ وأدلها وأنسبها، ولذا لم يحفل الرسولﷺبالسجع، ولم يحرص عليه، ولم يطلبه، بل كان كالذين وصفهم عبد القاهر بأنهم "تركوا العناية بالسجع، ولزموا سجية الطبع [فجاء كلامهم] أمكن في العقول، وأبعد من القلق،

وأوضح للمراد، وأفضل عند ذوى التحصيل، وأسلم من التفاوت، وأكشف عن الأغراض، وأنصر للجهة التي تنحو نحو العقل، وأبعد من التعمد الذي هو ضرب من الخداع بالتزويق» (٢٦٤) .

ويبدو أن عبد القاهر الجرجاني قد استخلص من كلامه ﷺ وكلام المطبوعين من البلغاء **قاعدة الجودة للسجع والتجنيس،** وكل فن بلاغي، في رأيي، إذ يقول: «**وعلى الجملة، فإنك لا تجد تجنيساً مقبولاً، ولا سجعاً حسناً حتى يكون المعنى هو الذي طلبه واستدعاه، وساق نحوه، وحتى تجده لا تبتغى به بدلاً، ولا تجد عنه حولاً [وهو المنهج الذي طبقه الباحث في تحليله]، ومن هنا كان أحلى تجنيس تسمعه وأعلاه، وأحقه بالحسن وأولاه، ما وقع من غير قصد من المتكلم إلى اجتلابه، وتَأَهُّبٍ لطلبه، أو ما هو لحسن ملاءمته، وإن كان مطلوباً، بهذه المنزلة، وفي هذه الصورة**» (٢٦٥) .وهذه صفة كلامه كله ﷺ ،ولاسيما ما يُظَنّ فيه شيء من التعمد أو القصد إلى السجع، إلا أنه "يأتي على السجية" (٢٦٦) .

يقين الباحث، بعد هذا ، أن ما ورد من سجع في كلامه ﷺ لم يقصد إليه قصداً، بل جاء طبعاً وسجية غير مقصود إليه، ولذا جاء على أكمل وجه وأتم بيان، فهي كلمات مسجوعة إن حاولت بها بدلاً لم تجد عنها حولاً، وذاك كذلك؛ لأن الرسول ﷺ كان يرسل نفسه على سجيتها وطبيعتها، ولذا لم يتعمّل أو يتكلف السجع.

والباحث يحب أن يختم هذا المبحث بما يؤكد ما ذهب إليه من كلام عبد القاهر الذي يصرح بما انتهي إليه، مستشهداً ببعض ما

استشهدنا به من قبل؛ يقول عبد القاهر: "**وإن تتبعنا [أي السجع] من الأثر وكلام النبي عليه السلام تثق كل الثقة بوجودك على الصفة التي قدمت، وذلك كقول النبي ﷺ:"يا أيها الناس: أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام"** (٢٦٧) **فأنت لا تجد في جميع ما ذكرت لفظاً اجْتُلِبَ من أجل السجع، وتُرِكَ له ما هو أحق بالمعنى وأبر به، وأهدى إلى مذهبه»** (٢٦٨) .

وهذه الظواهر الصوتية،وإن قامت في المقام الأول علي اللفظ، فإن قيمتها الصوتية تأتي من خلال تفاعل الوحدات الصرفية أو اللفظية في موقعها وترتيبها ،على مستوى التركيب؛ فلا يُتَصَوَّرُ قيمةٌ صوتية لظاهرة موسيقية من دون ارتباط دلالتها ووظيفتها بالتركيب والسياق الذي ترد فيه؛ فاختيارات المنشئ من طاقات اللغة وإمكاناتها المختلفة من تضاد وتجانس وتكرار وتراكيب وتصوير وغير ذلك، **تتم من خلال علاقة تفاعلية بين وحدات بناء النص على المستويات كافة .**

وإذا كان الاختيار، فيما سبق، يعد اختياراً استبدالياً، فإن هناك اختياراً آخر على مستوي التركيب ،سواء على المستوى الأفقي، بالتغيير بين أوضاع البناء اللغوي في النص تقديماً أو تأخيراً، أو على المستوى الموضعي حذفاً أو ذكراً، أو إيثارا لنوعية من بناء الجمل.

على أن السؤال المهم هو ما الجمل التي أكثر الرسول من

استعمالها، سواء من حيث نوعيتها أو طولها وقصرها؟ وكيف جاء التقديم والتأخير أو الحذف والذكر؟ ولِمَ آثر تركيبا ما، فاستعمله، واستبقاه، واستبعد آخر، فتركه؟ هذا ما سيتناوله الباحث في الفصل الثاني عن التراكيب.

الخاتمة

انطلقت هذه الدراسة من أسس موضوعية أملتها طبيعة المادة المدروسة ،وطبيعة المنهج الأسلوبي ؛فأثمر ذلك تناولا أسلوبيا موضوعيا ،ارتكزت عليه الدراسة ،واصطبغت به صبغة أصيلة؛ لقيامها علي الرصد والوصف والإحصاء والمقارنة الفنية الجادة التي استتبعها تطبيق منهج استرجاع الإمكانات المتاحة ، **وقد تجلي ذلك في النتائج الموضوعية لأهم الخصائص الأسلوبية التي ميزت أسلوب رسول الله ﷺ، ومن أهمها:**

أنه ﷺ كانت له طريقة خاصة في إلقاء الكلام أو الحديث ، تختلف عن طريقة معاصريه ؛فلم يكن يسرد الحديث كسردهم[٢٦٩]، أي لم يكن يتابع الحديث استعجالا بعضه إثر بعض، ووصفت السيدة عائشة طريقته هذه في الحديث بقولها:» إن النبي كان يحدّث حديثا لوعدّه العادُّ لأحصاه «[٢٧٠]، تريد بذلك أنه كان يتحدث حديثا " فَصْلا ، فهما تفهمه القلوب"[٢٧١] وتحفظه الذاكرة ،بحيثُ لو حاول المرء «عدّ كلماته أو مفرداته أو حروفَه، لأطاق ذلك، وبلغ آخرها،والمراد بذلك المبالغة في الترتيل والتفهيم « .[٢٧٢]

ويقينا أن تلك الطريقة كانت ذات تأثير فائق في نفوس متلقيه،وفي حفظهم حديثه بلفظه،في أغلبه.هذه الطريقة النبوية تُعنى عناية

فطرية بإيقاع الكلام ووقعه على الأذنأو موسيقاه،وهوﷺ متأثر فيها بالأداء الكلامي العربي الذي يرجع كثير من أبوابه إلي اللفظ، من حيث الجرس والإيقاع، كالتجنيس والطباق والسجع [٢٧٣].

وهي ظواهر أسلوبية عالجها البحث ،فانتهى–من خلال **الإحصاء والمقارنة الفنية الجادة بين الإمكانات المتاحة التي يوفرها النظام اللغوي ،وبين ما آثره الرسولﷺ بالاختيار إلي نتائج مهمة،تدحض ما افتراه بعض الباحثين علي رسول اللهﷺ،من حيث قصده إلي بعض الظواهر الأسلوبية الصوتية رغبة في إيقاعها وجرسها،كالسجع والجناس والطباق–والقصد إليها ابتداء حتما يوقع في التكلف فاتضح أنهﷺ كانت له بلاغة فطرية أصيلة ،نبعت من امتلاكه زمام اللغة، ومعرفته أسرارها ، ومواطن التأثير فيها،وسبره أغوارها ،حتى ألقت إليه بنفسها ونفيسها،إضافة إلي التوفيق الإلهي لقوله وفعلهﷺ،ومن أهم هذه النتائج:**

١. **أن** الجناس **ورد في واحد وعشرين حديثاً ، وإذا قورنت بنسبة عدد الأحاديث المروية بلفظها في الكتب الستة فستبلغ (٣,١٤٪)، وذلك يدل على أن الجناس لم يكن أثيراً عنده ﷺ؛ بل كان نادراً في كلامه ﷺ** .وما ورد فيها من جناس كان من الجناس غير التام أو الناقص،مما يدل على عدم قصديته ﷺ إلى الجناس، وهذا يستلزم، منطقياً،أن الجناس كان يرد عنده عفو الخاطر غير متعمد، ولا مقصود إليه، بل يقوده معناه،ولذا وَرد في كلامه ﷺ "**عفواً من غير كَدٍّ ولا استكراه ولا بعد،ولا ميل إلى جانب الركاكة**»[٢٧٤]؛**لأنه**

لم يكن يطلبه، ولا يتأهب لطلبه ،ولذلك ورد على أتم وجوه البلاغة وأعلاها وأبلغها .

٢. بينما **مثّل الطباق سمة أسلوبية مميزة في أسلوب رسول الله ﷺ** ؛فقد**ورد في تسعين حديثاً ، وبمقارنة نسبة الشيوع هذه بعدد الأحاديث المروية بلفظها اتضح أن هذه السمة الأسلوبية وردت في الأحاديث المروية بلفظها بنسبة (١٣,٥٪)،وهذا يعنى أن الطباق كان وسيلة فطرية غير مقصود إليها ابتداء، وأنه كان وسيلة مهمة في إبراز المعنى، وإيصال الدلالة المتوخاة؛ فإن الأُذُنَ العربية المرهفة «تستجيب لكل نوع من أنواع الحركة المنتظمة،صوتية كانت أو معنوية «**[٢٧٥].

وقد كان ﷺ يبتغى **بإيثار الطباق تنشيط ما أسماه الباحث الفعالية الإدراكية لدى المتلقي**؛ أو ما يمكن أن نسميه **رسم الصور المتناقضة أو المعاني المتناقضة باستدعاء المتلقين دلالتين أو صورتين أو حالتين متقابلتين أو متضادتين توضعان أمام مخيلة المتلقي، مثيرة ذهنه في المقارنة بينهما، والسر من وراء جمعهما معا .**

٣. **وقد أظهر الإحصاء أن السجع ليس سمة أسلوبية أثيرة عنده بمعنى أنه كان يحرص عليه، ويقصد إليه ؛ فقد بلغ عدد الأحاديث التي ورد فيها سجع أربعين حديثا،أى أن النسبة ضئيلة؛ حيث تبلغ (٥,٩٩٪)**،يؤيد هذا حديثُ ابن عباس–رضى الله عنهما–:»**فانظر السجع من الدعاء فاجتنبه،فإني رأيت رسول الله**

وأصحابه لا يفعلون إلا ذلك الاجتناب»[٢٧٦] .

٤. ولذلك جاء ما ورد من سجع في أحاديثهﷺ على أكمل وجه وأتم نظم ؛ وما ذاك إلا لأنه لم يكن يتعمد اختيار السجعات أو الكلمات المسجوعة،بل كانت ترد في كلامه عفوية تلقائية غير مقصودة؛ فاختيارها اختيار فطرى ممن خبر اللغة،وامتلك ناصيتها،وتلك نتيجة تدحض ما ادعاه بعض الباحثين أن في الأحاديث النبوية سجعاً مقصوداً، وأنه يماثل سجع المتدينين من أصحاب الديانات الأخرى، ويزيد عليها الوضعية أيضاً!! [٢٧٧] .

وتلتقي مع ما قرره علماؤنا ،كابن حجر والنووي وأبى هلال العسكري وغيرهم،**وخلاصة ما قرروه «أن كلام الرسول ﷺ، وإن تضمن بعض السجعات؛ فهي عفوية غير مقصودة؛ لأنه يتجه بكلامه إلى الوجدان والمشاعر؛ولا ينطق عن الهوى ، وأسجاعه تتسم بالنُّدْرَة إذا قِيست بما روى، وبما خطب؛ فخطبة الوداع على كبرها نسبياً، لا تجد فيها سوى سجعة واحدة :»إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد»**[٢٧٨] .

وقد اجتهد الباحث أن يطبق منهجاً من أحدث مناهج التحليل الأسلوبي ، وهو منهج استرجاع الإمكانات المتاحة، **فاتضح من خلاله، أن اختياره ﷺ كان دائماً الأدق والأنسب والأبلغ والأدل على المعنى المراد ، وإذا لم يكن ثمة قدرة على أن نستبدل بكلمة وقعت سجعة أو فاصلة أخرى أدق منها وأنسب في مكانها في كلامه ﷺ فذلك السجع الذي يأتي على أتم وجوه البلاغة. سجع هو أشبه**

بالنغمة الموسيقية.

سجع يقوده معناه إلى لفظه ويقتضيه سياق الكلام والموقف. أو قل: هو سجع إيقاعه إيقاع طبيعي غير مفتعل؛ لأن المتكلم به يختار من الكلمات ما يقودك إلى الإقرار بأنه اختيار من أحاط باللغة إحاطة شاملة، واستوعبها استيعاب الحاذق البصير، فانقادت له وألقت إليه بقيادها، فتصرف في كلماتها تصرف من يعتصر منها أجمل ما فيها من إيقاع مؤثر،وموسيقى ساحرة، مع تمام المعنى؛ فلست بواجد في كلامهﷺ عامة،أو في سجعاته خاصة "لفظة مستدعاة للفظها [أو لأجل السجع] أو مستكرهة عليه،ولا كلمة غيرها أتم منها أداءً للمعنى، وتأتياً لسره في الاستعمال"(٢٧٩).

وإذا أضفنا إلى ذلك ما قدمنا من حقائق عن الحديث الشريف، وأهمها أنه كان نصاً منطوقاً في الأصل، يدرك أولاً بالسماع، عن طريق الأذن، وأن الجماعة اللغوية العربية في عصره وبعد عصره، كانت جماعة شفهية تعتمد على الأذن التي لا يعوزها المران والدربة والتمييز بين الحسن والقبيح أو المتكلف والجيد من الكلام –أدركنا **لماذا جاء السجع في كلامه ﷺ في أعلى درجات البلاغة**؛ فإن العرب؛ لاعتمادهم على السمع في المعرفة أرهفوا أسماعهم وأصبحت أذنهم أذناً موسيقية بكل ما تعنيه الكلمة من دلالة على الإيقاع والنغم وتناسب الألفاظ، ولذا اعتنوا بموسيقية الكلام اعتناء فطرياً أصيلاً، لأنهم لم يكونواأهل كتاب وقراءة، بل أهل سماع وإنشاد(٢٨٠)،**وقد تربىﷺ على هذه الثقافة الشفهية السماعية التي تقدر للفظ إيقاعه**

وموسيقاه،فكان ذلك فطرة أصيلة فيهﷺ ،ثم كان تأييده بالوحى أو التوفيق الذي أيده به ربه سبباً آخر، في أن يأتي كلامه سواء اشتمل على سجع ، أو جناس ، أو طباق طبعاً عفو الخاطر .

الهوامش :

١. تأتي هذه الدراسة في إطار سلسلة دراسات أسلوبية على الحديث النبوي الشريف تطبيقا على مسند الإمام الليث بن سعد –رضي الله عنه – صدر منها لنا كتاب : الأسلوبية والنص النبوي الشريف « ونحيل القارئ الكريم إلى الدراسة النظرية به فدراستنا هذه تتكئ على إطارها النظري ولاسيما ما يخص ضوابط التناول الأسلوبي للنص الديني المقدس لدينا .

٢. د/سعد مصلوح ، في النص الأدبي:دراسة أسلوبية إحصائية،عين للدراسات والبحوث الإنشائية والاجتماعية،القاهرة،ط١٤١٤،١هـ/١٩٩٣م ،ص٢٣.وانظر:د/عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب،دار سعاد الصباح الكويت،ط١٩٩٣،٤م،ص٧٤:٧٥.وأحمد الشايب ، الأسلوب:دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية،مكتبة النهضة المصرية،ط١٤١١،٨هـ/١٩٩١م،ص٥٢. وانظر:في تعريفات الأسلوب:د/سعد مصلوح ، الأسلوب:دراسة لغوية إحصائية،دار البحوث العلمية،الكويت، ومطبعة حسان بالقاهرة،ط١،د.ت، ص ٢٦ : ٢٩ .وعدنان بن ذريل، النَصُّ والأسْلوُبيَّة:بين النظرية والتطبيق،من منشورات اتحاد الكتاب العرب،سوريا،٢٠٠٠م،ص٤٤،٤٣.

٣. انظر:د/ جوزيف ميشال شريم ، دليل الدراسات الأسلوبية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٤هـ م / ١٩٨٤ م ، ص ٣٧.

٤. د.عبد العزيز فتح الله عبد الباري – مسند الإمام الليث بن سعد:جمع وترتيب وتصنيف وتخريج – طبع صوت القلم العربي للطبع والنشر– مصر– الطبعة

الأولى–١٤٣١ هـ/٢٠١١ م . وإذا أطلقنا لفظ المسند في هذا الكتاب فإنما نعني به مسند الإمام الليث.

٥. وستكون أية نسبة مئوية في هذا البحث بمقارنة عدد الأحاديث المروية بلفظها في المسند وعددها(٦٣٩) حديثاً.

٦. أخرجه البخارى ،فى فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف ح رقم (٤٩٩٢)، وكرَّره في التوحيد، باب قول الله تعالى:(فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ)(المزمل/ من الآية ٢.)، ح رقم (٧٥٥٠) . محمد بن إسماعيل البخاري(١٩٣هـ/٢٥٦هـ)، الجامع الصحيح المسند من حديث رسول اللهr وسننه وأيامه ، بشرح فتح الباري "للإمام الحافظ أحمد بن على بن حجر(ت: ٧٧٣هـ)، تح/عبد العزيز بن عبد الله بن باز ،رقم كتبها وأبوابها وأحاديثها محمد فؤاد عبد الباقي، طبع دار الحديث ، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م. وطبعة المكتبة السلفية، تح/ محب الدين الخطيب وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، ط٣، ١٤٠٧هـ.

٧. ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج ٩ ، ص ٣٣.

٨. ولذلك يُخطِئ من يقول : اللغة العربية الفصحى ، بل عليه أن يقول:الفصيحة؛فليس فيها أفصح وأقل فصاحة، بل فصيح وغير فصيح .

٩. هذه الرسالة هي رسالة دكتوراه للباحث أحمد عثمان محمد رمضان،وهي بعنوان:المعلقات:دراسة أسلوبية ،مخطوطة بكلية الآداب ، جامعة المنوفية ١٩٩٩م ، وكشفت هذه الدراسة عن أنه – برغم التزام شعراء المعلقات بعمود الشعر العربي – قد كان لكل شاعر منهم أسلوبه الخاص المتفرد الذي يمتاز به عن غيره.

١٠. مصطفى صادق الرافعي،إعجاز القرآن والبلاغة النبوية،مكتبة مصر ،د،ت ص ٣٢٣.

١١. المصدر السابق ، ص ٣٢٤ .

١٢. أخرجه الترمذي في المناقب ح رقم (٣٦٤٦) و (٣٦٤٧) ، (الترمذى:أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة(الجامع الصحيح)وهو سنن الترمذى،تحقيق وشرح/ أحمد محمد شاكر والأجزاء من ٣:٦ بتحقيق د/مصطفي محمد حسين الذهبى القاهرة، ط١ ، ١٤١٩هـ /١٩٩٩ م.

١٣. أخرجه البخاري،في التعبير، باب المفاتيح في اليد، ح رقم (٧,١٣).

١٤. مصطفى صادق الرافعي ، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص ٣٢٨.

١٥. المصدر السابق ، ص ٣٢٤.

١٦. أخرجه مسلم في الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، ح رقم (٣,٢). (النووى:الإمام محيى الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووى(ت ٦٣١،٦٧٦هـ) ،صحيح مسلم بشرح النووى، تخريج وتعليق محمد محمد تامر،دار الفجر للتراث،القاهرة،الطبعة الأولى ١٤٢.هـ، ١٩٩٩م.

١٧. مصطفى صادق الرافعي،إعجاز القرآن والبلاغة النبوية،ص ٣٢٦،٣٢٧،وهذا الطرف من الحديث الذي استشهد به الرافعي، ولم يوثقه،في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف،إعداد أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، دار الفكر ، بيروت ط ١،١٣١. هـ /١٩٨٩ م، المجلد الثاني،ص ٥,٧ .

١٨. أحمد حسن الزيات،تاريخ الأدب العربي،دار الثقافة، بيروت،ط ٢٨ ، ١٩٧٨م،ص١١١،وكلمة الوحي من إضافة الباحث لأهميتها .

١٩. والتر،ج ، أونج ، الشفاهية والكتابية، ترجمة د/حسن البنا عز الدين ،مراجعة د/محمد عصفور،عالم المعرفة ، الكويت ، العدد (١٢٨) ،١٤١٤هـ / ١٩٩٤ م ص ١٤ ، وانظر أيضاً : ص ٤٤.

٢٠. المصدر السابق ، ص ١٨.

٢١. هذا الطرف من الحديث بموسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف، لأبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، المجلد الثاني ،ص ٥,٨.

٢٢. السابق نفسه .

٢٣. انظر: البخاري،في الخصومات، باب في الملازمة،ح رقم (٢٤٢٤) ،وفي الصلح، باب هل يشير الإمام بالصلح، ح رقم (٢٧,٦)،وفي الصلح، أيضا باب الصلح بالدين والعين،ح رقم (٢٧١.). ومسلم في المساقاة، باب استحباب الوضع من الدين، ح رقم (٢١).والنسائى ،في آداب القضاة،باب إشارة الحاكم على الخصم بالصلح، ح رقم (٥٤٢٩)(الإمام النسائى:أحمد بن شعيب بن على بن سنان النسائي(ت ٢١٥هـ، ٣,٣)،سنن النسائى (المجتبى) بشرح الإمامين السيوطى والسندى، تح/د:السيد محمد سيد، والأستاذ على محمد على، والأستاذ سيد عمران، ضبط أصوله د/ مصطفي محمد حسين الذهبى، طبع دار الحديث، القاهرة ، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م،

٢٤. انظر : والتر .ج. أونج ، الشفاهية والكتابية ، ص ٩١.

٢٥. انظر:الترمذي،في الأحكام،باب ما جاء في الرجلين يكون أحدهما أسفل من الآخر في الماء، ح رقم (١٣٦٣) . والنسائي ،في آداب القضاة ،باب إشارة الحاكم بالرفق، ح رقم (٥٤٣١).

٢٦. انظر:د/عبد السلام المسدي،التفكير اللساني في الحضارة العربية،الدار العربية للكتاب،ط١٩٨٦،٢م،ص٢٦٥ .

٢٧. د/ شفيع السيد ، الاتجاه الأسلوبي في النقد الأدبي ، دار الفكر العربى، القاهرة، د.ت،ص ٩٤.

٢٨. أخرجه البخاري في النكاح،باب ذب الرجل عن ابنته في الغيرة والإنصاف،ح

رقم (٥٢٣.)، وفي الطلاق، باب الشقاق وهل يشير بالخلع ،ح رقم (٥٢٧٨).وأبو داود في النكاح، باب ما يكره أن يجمع بينهن من النساء، ح رقم (٢,٧١)(أبو داود:سليمان بن الأشعث السجستانى الأزرجى، سنن أبى داود ، شرح وتحقيق د/ السيد محمد سيد ود، عبد القادر عبد الخير والأستاذ سيد إبراهيم ، دار الحديث،القاهرة،ط١ ، ١٤٢. هـ/١٩٩٩م.والترمذي، في المناقب، باب ما جاء في فضل فاطمة بنت محمد ،ح رقم (٣٨٦٧). وابن ماجة، في النكاح، باب الغيرة ،ح رقم(١٩٩٨)،(ابن ماجة:الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزوينى،٢,٧ هـ،٢٧٥هـ) سنن ابن ماجة،حقق نصوصه ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه وعلق عليه محمد فؤاد عبد الباقى، خرج أحاديثه وفهرسه د/مصطفي محمد حسين الذهبى دار الحديث ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ،١٩٩٨م،وسيرد تناول هذا الحديث في مبحث الحذف والذكر،انظر ص( )من البحث.

٢٩. د،إبراهيم أنيس،دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية،ط٤، ١٩٨.،ص٤٦ .

٣٠. انظر : ابن حجر ، فتح الباري ، ج ٦ ، ص ٧,٣ .

٣١. المصدر السابق، ج ٦ ، ص ٤,٧.

٣٢. أخرجه البخاري في المناقب، باب صفة النبي e ، ح رقم (٣٥٦٨).

٣٣. المصدر السابق، ح رقم (٣٥٦٧).

٣٤. ابن حجر ، فتح الباري ، ج ٦ ، ص ٧,٤.

٣٥. المصدر السابق ، نفس الجز ء والصفحة .

٣٦. د،كريم حسام الدين،الدلالة الصوتية:دراسة لغوية لدلالة الصوت ودوره في التواصل،مكتبة الأنجلو المصرية،ط١٤١٢،١هـ /١٩٩٢م،ص١٤٩.

٣٧. انظر:السابق،ص١٥١،ود/أحمد يوسف علي،مفهوم الشعر عند شعراء العباسيين،الأنجلوالمصرية، ٢٠٠٤م،ص٤٤٩.

٣٨. ابن جني(أبو الفتح عثمان ابن جني)الخصائص،تح/محمد علي النجار،عالم الكتب،بيروت،ج١،ص٢١٥:٢١٦.

٣٩. نظر:د،إبراهيم سلامة ،بلاغة أرسطو بين العرب واليونان:دراسة تحليلية نقدية تقارنية،مكتبة الأنجلو المصرية، ط٢،١٣٧١هـ/١٩٥٢م،ص٣٧٥:٣٧٤.

٤٠. د/كريم حسام الدين، الدلالة الصوتية ، ص١٥. .

٤١. انظر :د/أحمد يوسف علي، مفهوم الشعر ،ص٤٦٦.

٤٢. قام المؤلف بجمع أحاديث الإمام الليث بن سعد كلها في الكتب الستة الصحاح وترتيبها وتصنيفها وتخريجها ،ونشرت باسم مسند الإمام الليث بن سعد (طبع صوت القلم العربي للطبع والنشر، الطبعة الأولى ،مصر ،٢٠١٠ م).وهى ا

٤٣. الجناس نوع من المحسنات اللفظية تتشابه فيه الكلمتان لفظاً سواء أكان التشابه تاماً؛ فتتفقان في أنواع الحروف وأعدادها وهيئاتها وترتيبها، أم تفتقد إحدى الكلمتين شرطاً من الشروط الأربعة السابقة، فيسمونه جناساً ناقصاً، ويفرّع البلاغيون كلا النوعين فروعاً كثيرة؛ فالتام إما أن يكون مماثلاً (وهو ما كانت اللفظتان فيه من نوع واحد كاسمين أو فعلين أو حرفين) ،وإما أن يكون مستوفيا(وهو ما اختلف فيه اللفظان في نوع الكلمة؛ كأن تكون إحداهما اسماً والأخرى فعلاً)، وإما أن يكون مركباً سواء في أحد طرفيه، أو في طرفيه جميعاً، ويفرعون المركب فروعاً لا قيمة لذكرها. أما الجناس الناقص أو غير التام، فعلى حسب الشرط المفتقد من الشروط الأربعة الواجب توافرها في الجناس التام، يكون لكل جناس مصطلح معين؛ فإذا كان الاختلاف في نوع الحرفين فإن كان الحرفان المختلفان متقاربين في المخرج سُمي الجناس «مضارعاً»،؛ وإن كانا متباعدين في المخرج سمي «لاحقاً»، وإذا افتقد شرط العدد، فعلى حسب مكان الحرف الزائد في أول الكلمة أو في وسطها، أو في آخرها يسمى

الجناس مُطرفاً أو مكتنفاً أو مذيلاً، على التوالي! وإذا كان الاختلاف في الشكل؛ فإن كان في الحركات فهو «جناس الحرف»،وإن كان في اللفظ سمي جناس التصحيف! ثم إن كان الاختلاف في ترتيب الحروف سمي جناس القلب. (انظر:جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزوينى، الإيضاح في علوم البلاغة ،تقديم وشرح د/على أبو ملحم،منشورات مكتبة الهلال،بيروت، ٢٠٠٠م ،ص٣١٨ وما بعدها. وانظر أيضاً، لأحمد السيد الهاشمي،جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ،شرح وتح/حسن حمد،دار الجيل، ٢..٢م ،ص٢٤٤ وما بعدها.وانظر كذلك: ابن رشيق، العمدة، تقديم وشرح د/صلاح الدين الهوارى، وهدى عودة، دار ومكتبة الهلال،ج١،ص٥١٦. وانظر أيضاً: ابن حجة الحموي ،خزانة الأدب وغاية الأرب، شرح عصام شعيتو ،دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط٢، ١٩٩١م، جـ١ ،ص٥٤، ٥٥ .وانظر أيضاً: د/أحمد عبد المجيد خليفة،من روائع البديع في القرآن الكريم ،مكتبة الآداب، بالقاهرة،ط١، د.ت،ص٦٨ وما بعدها،وانظر :د. مأمون محمود ياسين ،من روائع البديع ،مطبعة دبي، الإمارات العربية المتحدة ،١٤١٨، ١٩٩٧م، ص٤٦ وما بعدها). وهكذا تحول الجناس إلى معادلات رياضية، وحدود منطقية، لا تفيد البلاغة في شيء، بل صارت قيوداً تثقل كاهل البلاغة العربية، مما أدى إلى الجمود والتخلف، وهو ما حمل عليه رجاء عيد ،رحمه الله؛ لتحول البحث البلاغي إلى تفريعات غير مجدية ؛لذا نقترح الاقتصار فحسب على النوعين الرئيسين: التام وغير التام أو الناقص، وهو ما دعا إليه عبد القاهر؛ حيث توقف عندهما.(انظر: لعبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان،تح رشيد رضا،دار الكتب العلمية،بيروت،ط١، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.ص١٤.وانظر :لرجاء عيد، فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور ،منشأة المعارف بالإسكندرية–ط٢،د.ت ص٤٥٩ .وانظر أيضاً: منير سلطان،البديع: تأصيل وتجديد،منشأة المعارف بالإسكندرية،ط١٩٨٦،١م

،ص٧٦ .

٤٤. انظر: لأبى هلال العسكري (الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري)،كتاب الصناعتين، تح /على محمد البيجاوى ومحمد أبو الفضل إبراهيم ،المكتبة العصرية، بيروت، ١٤،٦هـ،١٩٨٦م،ص٣٢١ .والسيوطى: جنى الجناس،تح / محمد على رزق الخفاجى ، الدار الفنية للطباعة والنشر ،١٩٨٦م ،ص٤٣.وللثعالبي كتاب ثالث هو "الأجناس". انظر :فقه اللغة وأسرار العربية، شرح وتعليق د/ ديزيرة سقال،دار الفكر العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٩م ،ص٦ .

٤٥. انظر: السابق (جنى الجناس) ص٤٦ .

٤٦. انظر:صلاح الدين الصفدى،جنان الجناس في علم البديع ،طبع مطبعة الجوانح ،ط١،١٢٩٩هـ، ص٢٠١. والمثل السائر لابن الأثير ،تح/محمد محيى الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٥م، ج١ ،ص٢٤١.وجنى الجناس للسيوطي، ص٤٨ . وقد أولع بالجناس كثير من الأدباء في القرنين السادس والسابع الهجريين حتى ليمكن أن نقول: إنه أصبح مذهباً وطريقة في الكتابة، ولاسيما في القرن السابع الهجري (انظر: عمر موسى باشا: أدب الدول المتتابعة،دار الفكر الحديث، لبنان،١٩٦٧م،،ص٦٧.ومنهم من نزه نفسه عنه! قائلاً "أما الجناس، فإنه غير مذهبي ومذهب من نسجت على منواله من أهل الأدب)، بل اعتبره "من أنواع الفراغ وقلة الفائدة، ومما لا يشك في تكلفه". انظر: لابن حجة الحموي ،خزانة الأدب،ج١،ص٥٤/٥٥.

٤٧. قسَّم السيوطي الجناس إلى ثلاثة عشر قسماً، وصنَّف تحت كل قسم أنواعاً عدة، وصل بها إلى أربعمائة نوع! انظر المصدر المشار إليه ، ص٧١ .

٤٨. د/منير سلطان، البديع تأصيل وتجديد ، ص٨٢ .

٤٩. عبد القاهر الجرجانى، أسرار البلاغة ، ص٥ .

٥٠. انظر: السابق، ص٧ .

٥١. انظر: السابق،ص٦ .

٥٢. انظر: السابق، ص٧ .

٥٣. الفَرَق بالفتح: الفصْل بين الشيئين، ومن معانيه بالكسر، الموجة.

٥٤. عبد القاهر ،أسرار البلاغة ، ص١٠٠ .

٥٥. د/فتحي على عبده،نقد النثر في التراث النقدي والبلاغي،الدار المصرية للكتاب، ط١ ، ١٩٩٣م ،ص٣٥٧ .

٥٦. عبد القاهر، أسرار البلاغة ص١٢ .

٥٧. انظر: إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص٢,٣ .

٥٨. انظر: السابق، ص٢,٢ .

٥٩. د/مصطفي الصاوي الجوينى، البلاغة تأصيل وتجديد، منشأة المعارف،د.ت،ص١٩٦ .

٦٠. منير سلطان ، البديع تأصيل وتجديد، ص٧٦ .

٦١. أسرار البلاغة ، ص٥ .

٦٢. انظر: ستيفن أولمان،دور الكلمة في اللغة،ترجمة كمال بشر،مكتبة الشباب،القاهرة،ط١.،١٩٨٧م، ص٦٦و١٢٦.

٦٣. سيحيل الباحث إلي بعضها بعد،انظر هامش (٢٨) .

٦٤. أخرجه أبو داود، في الطهارة، باب في الغسل يوم الجمعة، ح رقم (٣٤٥).

٦٥. السابق نفسه، ح رقم (٣٤٦).

٦٦. أخرجه مسلم ،في الإمارة،باب الخيل في نواصيها الخير إلى يوم القيامة،ح رقم (٩٦).والنسائي، في كتاب الخيل، باب فتل ناصية الفرس،ح رقم (٣٥٧٣).وابن

ماجة ،في الجهاد، باب ارتباط الخيل في سبيل الله، ح رقم (٢٧٨٧).

٦٧. أخرجه النسائى في الإيمان وشرائعه،باب صفة المؤمن ،ح رقم (٥,١).والترمذي،في الإيمان، باب ما جاء في أن المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، ح رقم (٢٦٢٧).

٦٨. أخرجه ابن ماجة ،في النكاح، باب المحلل والمحلل له، ح رقم (١٩٣٦).

٦٩. أخرجه النسائي ،في تحريم الدم، باب ما يفعل من تعرض لماله، ح رقم (٤,٩٣)،وكرره برقم (٤,٩٤).

٧٠. أخرجه مسلم، في المساجد،باب استحباب القنوت في جميع الصلاة إذا نزلت بالمسلمين نازلة،ح (٣,٧)،وورد أيضا،على سبيل المثال في: البخاري، في البيوع،باب (يَمْحَقُ اللهُ الْرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ)(البقرة/من الآية٢٧٦) ، ح رقم (٢,٨٧) ،وفي أحاديث الأنبياء، باب الأرواح جنود مجندة،ح رقم (٣٣٣٦).و مسلم ،في البر والصلة والآداب،باب فضل صلة أصدقاء الأب والأم ونحوهما،ح رقم (١٣)، و في المساجد، باب استحباب القنوت في جميع الصلاة إذا نزلت بالمسلمين نازلة، ح رقم (٣,٧)،و في الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ،باب فى التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره، ح رقم (٥٤). و أبو داود ،في الأدب،باب كراهية أن يقوم الرجل من مجلسه ولا يذكر الله، ح رقم (٤٨٥٦) ،وفي باب في بر الوالدين، ج رقم (٥١٤٣) ، وفي الزكاة،باب في زكاة السائمة، ح رقم (١٥٨٥). والترمذي ،في الزكاة،باب ما جاء في المعتدى في الصدقة، ح رقم (٦٤٦) ، وفى الدعوات، باب ما جاء ما يقول إذا نزل منزلاً، ح رقم (٣٤٣٧)،وفى باب بدون ترجمة،ح رقم (٣٤٧٣). وابن ماجة في الزكاة، باب ما جاء في عمال الصدقة،ح رقم (١٨,٨) .

٧١. انظر: سنن أبى داود، ج١ ،ص١٨٣ .

٧٢. انظر: السابق ، نفس الجزء والصفحة.

٧٣. انظر: السابق،كتاب الطهارة ،باب الرخصة في ترك الغسل يوم الجمعة، ح رقم (٣٥٣).

٧٤. أخرجه ابن ماجة، في الطهارة وسننها، باب الرجل والمرأة يغتسلان من إناء واحد،ح رقم (٣٧٦).

٧٥. أخرجه النسائي ،في كتاب الطهارة، باب فضل الجنب ،ح رقم(٧٢)، وأيضاً في المياه، باب الرخصة في فضل الجنب،ح رقم(٣٤٣).

٧٦. انظر: ابن حجر ،فتح الباري،ج٢، ص٤٤٦ .

٧٧. أخرجه البخاري، في الجمعة،باب فضل الجمعة،ح رقم (٨٨١).ومسلم في الجمعة،باب الطيب والسواك يوم الجمعة،ح رقم (١.)، بلفظ :»من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة، ثم راح فكأنما قرب بدنة، ومن راح في الساعة الثانية، فكأنما قرب بقرة،ومن راح في الساعة الثالثة، فكأنما قرب كبشا أقرن ،ومن راح في الساعة الرابعة، فكأنما قرب دجاجة، ومن راح في الساعة الخامسة، فكأنما قرب بيضة. فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر».

٧٨. انظر:سنن أبى داود،ج١،ص١٨٣،هامش الحديث رقم(٣٤٥)،وانظر أيضاً الهامش السابق.

٧٩. أخرجه مسلم، في الإمارة ،باب الخيل في نواصيها الخير إلى يوم القيامة،ح رقم (٩٧) ،

٨٠. وعلى ذا،كذلك،ينبغي أن يفهم قوله تعالى:}وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ{(الأنفال/٦) .

٨١. انظر: سليمان فياض ،معجم الأفعال العربية الثلاثية المعاصرة ،دار المريخ للنشر ،الرياض ،١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م، مادة"سلم"، ص٩٦ .

٨٢. انظر:النسائي، سنن النسائي، ج٤ ،ص٤٤. ،هامش ح رقم (٥٠١).

٨٣. انظر السابق نفسه.

٨٤. معلوم أن هذا الفعل محرم شرعاً؛ فلابد أن يستوفي الزواج شروطه الشرعية، فيكون بنية التأبيد، ولابد من أن يذوق عسيلتها وتذوق عسيلته، كما قال النبي e .راجع: البخاري ،في الطلاق،باب من جوّز الطلاق الثلاث، ح رقم (٥٢٦).

٨٥. أخرجه النسائي، في تحريم الدم ،باب من قاتل دون دينه ،ح رقم (٤١٠٦)

٨٦. انظر: فتح الباري، ج٧، ص٤٦٧ ،و ج٦ ،ص٦٦١ .

٨٧. لُقِّب بذلك؛ لأنه أسرع إلى الشهادة.

٨٨. ارتث: أي رفع وبه جراح.

٨٩. الرجيع: اسم مكان فيه ماء لهذيل بناحية الحجاز بين رابغ وجِدة، فَتَكَ فيه بنولحيان بعشرة نفر من أصحاب رسول اللهﷺ ،كان قد ابتعثهم مع قوم من عضل وقارة،وكانوا قد تظاهروا بالإسلام، ليعلموهم أمور دينهم ويقرئوهم القرآن، فغدروا بهم مستعينين ببنى لحيان هؤلاء. وذكر أن خبر هؤلاء وخبر أصحاب بئر معونة قد أتاهﷺ في ليلة واحدة ، انظر: صفي الرحمن المباركفورى، الرحيق المختوم: بحث في السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع المنصورة ، مصر ،ط٤، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م ،ص٣٠٤ وص٣٠٧ ، وانظر كذلك: فتح الباري، ج٧، ص٤٦٨ .

٩٠. المباركفورى ، الرحيق المختوم ، ص٣٠٦/٣٠٧ .

٩١. انظر: فتح الباري ،ج٦ ، ص٦٦١ .

٩٢. انظر: السابق ، ج٧ ، ص٤٧٠ .

٩٣. انظر: فتح الباري ، ج٧ ، ص٤٦٨ .

٩٤. نظر السابق، ج٧ ، ص٤٧٦ .

٩٥. انظر: سليمان فياض، معجم الأفعال العربية الثلاثية المعاصرة، مادة "غفر" ،ص١١١ .

٩٦. انظر السابق، مادة "تاب" ،ص ٣٣١ . والمعجم يصنف الأفعال بحسب الصحة والاعتلال.

٩٧. انظر: ابن حجر، فتح الباري ،ج٦ ،ص٦٦١، والنووي ،صحيح مسلم بشرح النووي،ج٨ ،ص٢٩١،ح رقم(١٩٣) من كتاب الفضائل، باب دعاء النبي ﷺ لغفار وأسلم.

٩٨. انظر: الزمخشرى(أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشرى) :أساس البلاغة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ص٣٠٦ .

٩٩. المقصود: يوافق معنى اسم قبيلتهم المأخوذ من السلام أو السلامة.

١٠٠. النووي ،صحيح مسلم،ج٨، ص٢٨٩ .

١٠١. انظر:الزمخشرى،أساس البلاغة،ص٣,٦،وانظر:معجم الأفعال العربية الثلاثية المعاصرة،مادة سلم، ص٩٦ .

١٠٢. انظر: النووي، صحيح مسلم ، ج٨ ،ص.٢٨٩

١٠٣. ابن حجر، فتح الباري، ج٦، ص٦٦١ ،وهذا الحديث أورده أبو هلال مستشهدا به على بلاغته ﷺ في الجناس،انظر:(الحسن بن عبد الله بن سهل) ، كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.وطبعة عيسى البابى الحلبي وشركاه ، تح/ على محمد البيجاوى ومحمد أبو الفضل إبراهيم،

القاهرة ، ١٩٥٢ م. ص ٣٢٣، وكذلك ابن سنان الخفاجى في:سر الفصاحة،دار الكتب العلمية ،بيروت،ط١،١٤٠٢هـ،١٨٨٢م،ص١٩٧.

١٠٤. د/محمد مندور، النقد المنهجي عند العرب ،دار النهضة مصر ،القاهرة،د.ت.ص٥١ .

١٠٥. انظر: السابق ، ص٥٢ .

١٠٦. ابن حجة الحموي، خزانة الأدب، ج١ ،ص٥٥ .

١٠٧. انظر: لابن الأثير،المثل السائر، ج٢ ،ص٢٦٦ (طبعة المكتبة العصرية،بيروت، ١٩٩٥م).

١٠٨. انظر:الآمدي ،الموازنة بين أبى تمام والبحتري،تح/محيي الدين عبد الحميد،المكتبة العلمية،بيروت،١٩٤٤م،ص ٢٥٤.

١٠٩. د/سناء حميد البياتي،نحو منهج جديد في البلاغة والنقد:دراسة وتطبيق،منشورات جامعة قاريونس،ليبيا،ط١،١٩٩٨م،ص١٢٧،ود/عبد الواحد حسن الشيخ،البلاغة وقضايا المشترك اللفظي،ملتقي الفكر،الإسكندرية،ص١٢٠.

١١٠. أخرجه البخارى، فى الرقاق،باب قول النبي e:لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثير،ح رقم (٦٤٨٥).

١١١. انظر: د/أحمد يوسف علي،مفهوم الشعر عند شعراء العباسيين،ص٤٤٩.

١١٢. انظر:ابن رشيق،العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده،تح/ محيي الدين عبد الحميد،مطبعة السعادة،مصر،ط٥،١٩٥٥،ج١،ص٣٣٢، وهناك ما يربط الجناس بالطباق أيضا، كالمشترك اللفظي الذي يقع على شيئين ضدين كالجُوْن للأسود وللأبيض وجَلَل:للعظيم والحقير، وبَصِير للأعمى والبصير،ومن ذلك ما يرجع إلي طبيعة اللغة مثل كثير من الألفاظ التي تدل علي الضد بتغيير طفيف فيها ككلمة(مِقَة)

بمعنى الحب وكلمة(مَقْت)بمعنى الكُرْه،والقِسْط وتعني العدل،والقَسْط وتعني الجَوْر، انظر:جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطى،المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تح/ فؤاد علي منصور ،دار الكتب العلمية،بيروت،ط١٩٩٨،١،ج١،ص٣٠٥. وانظر:د/ منى علي سليمان الساحلي،التضاد في النقد الأدبي مع دراسة تطبيقية من شعر أبى تمام،منشورات جامعة قار يونس ، ليبيا،١٩٩٥م ، ص ١٧٢:١٧٣.

١١٣. انظر:المثل السائر،ج٢،ص٢٦٤ . هذا أمر مجمع عليه :أن المطابقة في الكلام هي الجمع بين الشيء وضده كالبياض والسواد، والليل والنهار والحر والبرد،وقد خالف قدامة البلاغيين؛ حيث عرف الطباق بأنه إيراد لفظين متساويين في البناء والصيغة، مختلفين في المعنى، وهذا هو الجناس لاما استقر في عرف البلاغيين أنه الطباق، فإذا كان اللفظان على حد وصف قدامة فهذا هو الجناس، أما إذا اختلفا في الصيغة أو البناء واختلفا في المعنى فهذا هو الطباق،انظر: سر الفصاحة ص ١٩٩ /٢٠٠،والصناعتين، ص٣٠٧ .

١١٤. القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني ،الوساطة بين المتنبي وخصومه،تح/محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية ،ط١٩٦٦،٤م،ص٤٤.

١١٥. د/ سعد أبو الرضا، في البنية والدلالة في البنية والدلالة:رؤية لنظام العلاقات في البلاغة العربية،منشأة المعارف بالإسكندرية، د.ت،،ص٤١: ٤٢ .

١١٦. انظر:د/رجاء عيد : فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور،منشأة المعارف بالإسكندرية ، ط٢، د.ت،ص٤٧١ .

١١٧. انظر: السابق نفسه.

١١٨. سيحيل الباحث إلي بعضها بعدُ ،انظر هامش(١١٩).

١١٩. يرى الباحث أن ذلك لا يحتاج إلى ذكر كثير من الأمثلة عليه من القرآن، ولا بأس أن نشير إلى سورة البروج، ففيها مثال واضح على ذلك، فلتراجع.

١٢٠. أخرجه البخاري،في الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله e،ح رقم (٧٢٨١).

١٢١. أخرجه البخاري في الأذان، باب ما جاء في الثوم النيئ والبصل والكرات،ح رقم (٨٥٥)،وفي الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الأحكام التى تعرف بالدلائل ، ح رقم (٧٣٥٩).

١٢٢. أخرجه الترمذي، في صفة القيامة والرقائق والورع،باب بدون ترجمة ،ح رقم (٢٥١٦).

١٢٣. أخرجه النسائي، في الجهاد، باب فضل من عمل في سبيل الله ، ح رقم (٣١١٢) .

١٢٤. رواه الستة:أخرجه البخاري ،في أحاديث الأنبياء، باب(بدون ترجمة) ،ح رقم (٣٤٧٥).ومسلم، في الحدود، باب قطع السارق الشريف وغيره والنهى عن الشفاعة في الحدود، ح رقم (٨). والنسائى، في قطع السارق،باب ذكر اختلاف ألفاظ الناقلين لخبر الزهرى في المخزومية التي سرقت، ح رقم (٤٩١٤).وأبو داود، في الحدود، باب في الحد يشفع فيه،ح رقم (٤٣٧٣).والترمذي، في الحدود، باب ما جاء في كراهية أن يشفع في الحدود، ح رقم (١٤٣٠).وابن ماجة، في الحدود، باب الشفاعة في الحدود ،ح رقم(٢٥٤٧)،وقال ابن ماجة:قال محمد بن رمح: سمعت الليث بن سعد يقول: قد أعاذها الله ،عز وجل، أن تسرق، وكل مسلم ينبغي له أن يقول هذا.

١٢٥. أخرجه البخارى، فى الرقاق، باب قول النبىe :لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرا ، ح رقم (٦٤٨٥).وورد الطباق،علي سبيل المثال، أيضاً في:

البخاري،في الإيمان، باب إطعام الطعام من الإسلام ، ح رقم (١٢) ، وفي باب إفشاء السلام من الإسلام ،ح رقم (٢٨) ،وفي الجمعة ،باب الجمعة في القرى والمدن، ح رقم (٨٩٣)،وفي الكسوف باب خطبة الإمام في الكسوف،ح رقم (١,٤٦) ،وفي باب هل يقول كسفت الشمس أو خسفت،ح رقم (١,٤٧) ،وفي الصوم ،باب هل يقال رمضان أو شهر رمضان،ح رقم (١٨٩٩)،وفى البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده،ح رقم (٢,٧٤) ،وكرره فى المساقاة، باب بيع الحطب والكلأ،ح رقم (٢٣٧٤) ،وفي الكفالة،باب الدَّيْن، ح رقم (٢٢٩٨) ،وكرره في النفقات، باب قول النبى e:من ترك كلا أو ضياعاً فإلى ،ح رقم (٥٣٧١)،وفى المكاتب، باب المكاتب ونجومه فى كل سنة نجم ،ح رقم (٢٥٦.) ،وفى باب ما يجوز من شروط المكاتب،ح رقم (٢٥٦١) ،وفى الشروط، باب الشروط فى البيوع،ح رقم (٢٧١٧)، وفي بدء الخلق= =باب (صفة الشمس والقمر) بحسبان ،ح رقم (٣٢,٣)،وفي الاستئذان باب السلام للمعرفة وغير المعرفة ،ح رقم (٣٢٣٦)،وفي المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام ،ح رقم (٣٥٩٦)، وفي المغازى، باب أحد جبل يحبنا ونحبه، ح رقم (٤,٨٥) ،وفى الرقاق،باب من بلغ ستين سنة فقد أعذر الله إليه فى العمر ،ح رقم (٦٤٢.) ،وفي التعبير، باب الرؤيا من الله،ح رقم (٦٩٨٥)،و في باب من لم ير الرؤيا لأول عابر إذا لم يصب ،ح رقم(٧,٤٦)، وفي الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله e،ح رقم (٧٢٨١)،وفى الأحكام،باب بيعة النساء،ح رقم (٧٢١٣).ومسلم في الإيمان ،باب تفاضل الإسلام ،ح رقم (٦٣)، وفي باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله،ح رقم (١٥٥)،وفى الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل، ح رقم (٢.) ،وفي باب وجوب طاعة الأمراء فى غير معصية، ح رقم (٣٨)،وفي الفضائل، باب إثبات حوض نبينا eوصفاته،ح رقم (٣.)،(قلت:وهذا الحديث من عوالى حديث الليث،ذكره ابن حجر

في عوالى حديث الليث ،وهو الحديث الخامس منها.انظر: الرحمة الغيثية بالترجمة الليثية في مناقب سيدنا ومولانا الإمام الليث بن سعد –رضى الله عنه–طبع بالمطبعة الأميرية بولاق،مصر،ط١،١٣١٠هـ،طبعة بدار الكتب المصرية) مرقمة برقم (٦٣٤/ تاريخ)،ص ١. ،١١،).والنسائي فى الجنائز، باب وضع الجريدة على القبر ،ح رقم (٢,٦٩) ،وفى باب أروح المؤمنين، ح رقم (٢,٧٧) ، وفي مناسك الحج باب القول بعد ركعتي الطواف، ح رقم (٢٩٦١)،وكرره في باب الذكر والدعاء على الصفا ،ح رقم (٢٩٧٤)،وكرره أيضاً في باب موضع القيام على المروة،ح رقم (٢٩٨٤)،وفي الجهاد باب الرخصة في التخلف عن السرية، ح رقم (٣,٩٨) ،وفي باب فضل من عمل في سبيل الله على قدمه،ح رقم (٣١,٦)،وفي تحريم الدم،باب ما يفعل من تعرض لماله، ح رقم (٤,٩٣)، وكرره برقم (٤,٩٤)، وفى البيعة،باب بطانة الإمام،ح رقم (٤٢١٤) ،وفى باب جزاء من أمر بمعصية فأطاع.ح رقم (٤٢١٧)،وفى البيوع، باب بيع المكاتب ،ح رقم (٤٦٦٩)، وفي باب المكاتب يباع قبل أن يقضى من كتابته شيئاً،ح رقم (٤٦٧٠)،وفي الإيمان وشرائعه باب أي الإسلام خير ،ح رقم (٥,١٥).والترمذى فى الجهاد، باب ما جاء فى الإمام،ح رقم (١٧,٥) ،وفى باب ما جاء لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق، ح رقم (١٧,٧) وفى الوصايا،باب ما جاء فى الرجل يتصدق أو يعتق عند الموت،ح رقم (٢١٢٤) ،وفى الزهد، باب ما جاء فى قلب الشيخ شاب على حب اثنتين،ح رقم (٢٣٣٨)،وفى باب ما جاء فى الصبر على البلاء، ح رقم (٢٣٩٦)،وفي صفة القيامة والرقائق والورع،باب بدون ترجمة ،ح رقم (٢٥١٦)،وفي المناقب، باب في فضل مكة، ح رقم (٣٩٢٥). وأبو داود في الجهاد باب على ما يقاتل المشركون، ح رقم (٢٦٤٤)،و فى العتق، باب فى بيع المكاتب إذا فسخت الكتابة،ح رقم (٣٩٢٩) .وابن ماجة فى الجهاد،باب لا طاعة فى معصية الله،ح رقم (٢٨٦٤)،وفي المناسك

باب فضل مكة ح رقم (٣١,٨)،وفي الأطعمة،باب إطعام الطعام،ح رقم (٣٢٥٣)،وفى الفتن ،باب الصبر على البلاء،ح رقم (٤,٣١) ،وفي الزهد، باب النية،ح رقم (٤٢٢٧).

١٢٦. نص الحديث:"جاءت ملائكة إلى النبي e:وهو نائم فقال بعضهم: إنه نائم،وقال بعضهم:إن العين نائمة والقلب يقظان،فقالوا:إن لصاحبكم هذا مثلاً،قال فاضربوا له مثلاً،فقال بعضهم:إنه نائم، وقال بعضهم:إن العين نائمة والقلب يقظان، فقالوا:مثله كمثل رجل بنى داراً وجعل فيها مأدبة وبعث داعياً، فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة،ومن لم يجب الداعى لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة،فقالوا:أولوها له يفقهها، فقال بعضهم: إنه نائم،وقال بعضهم إن العين نائمة والقلب يقظان، فقالوا: فالدار الجنة والداعي محمدe،فمن أطاع محمداً فقد أطاع الله،ومن عصى محمداًe فقد عصى الله، ومحمد فرق بين الناس،(انظر هامش رقم١٣)؛وفي سياق الحديث حذف، وتقدير الكلام: جاءت ملائكة إلى النبي eوهو نائم، فقال جابر: قال رسول الله e يحكى عن بعضهم: إنه نائم....

١٢٧. في هذا السياق يرد قوله تعالى مزكياً قلب رسولهe(مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى) (النجم/١١)وراجع فيما اختص الله به نبيه من غسله قلبه وحشوه حكمة وعلماً،وهو مشهور بحادث شق الصدر،راجع: صحيح مسلم، الإيمان،باب الإسراء برسول الله ﷺ،ح رقم (٢٦١)،وانظر تعليق النووي، ج ١ ،ص٤٥٧ .

١٢٨. ابن حجر، فتح الباري، ج ١٣، ص٣١. .

١٢٩. ابن منظور(أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي)لسان العرب،طبعة دار صادر،بيروت،ط١ ،٢٠٠٠م ، مادة وعى،ج ١٥ ،ص٣٩٦ .

١٣٠. أخرجه البخاري في الحج،باب الخطبة أيام منى،ح(١٦٥٤).

١٣١. ابن منظور، اللسان،ج١٥،ص٣٩٦ .

١٣٢. الزمخشرى ، أساس البلاغة، مادة (نبه) ص٦١٦ .

١٣٣. انظر اللسان،مادة (يقظ)، ج١٤ ،ص٨٢٥، ٨٢٦ (طبعة أمين محمد عبدالوهاب).

١٣٤. انظر: الشيخ الحملاوى، شذا العرف في فن الصرف ،ص١٠٦ ،١٠٧ .

١٣٥. راجع هامش رقم (١٤).

١٣٦. اللسان مادة(نجا) ، ج١٤ ،ص٦٤ ، (طبعة أمين محمد عبد الوهاب).

١٣٧. راجع هامش رقم (١٤).

١٣٨. راجع هامش رقم (١٦).

١٣٩. انظر :د،إبراهيم سلامة، بلاغة أرسطو بين العرب واليونان:دراسة تحليلية نقدية تقارنية،ص١٢٧: ١٢٩.

١٤٠. عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف ، ط ١١ ، د.ت،ج٢ ،ص٥,٩ .

١٤١. انظر: السابق نفسه ،ص٤٦٨ .

١٤٢. انظر: السابق نفسه،ص٤٨٢ .

١٤٣. أخرجه مسلم ،في الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته ،ح رقم (٠٣).

١٤٤. الإشارة هنا إلى التنافس في الدنيا.

١٤٥. ابن حجر ، فتح الباري، ج٣ ،ص٢٥٩ .

١٤٦. انظر :السابق،ج٦،ص٧٤٤ . وهذا النص تعليق ابن حجر رحمه الله ،فما باله لو رأي ما نرى اليوم من تنافس على الدنيا بين أناس استباحوا كل شيء وفرطوا في مقدساتهم حرصاً على عرض من أعراض الدنيا؟!

١٤٧. انظر: اللسان، مادة (خوف)، ج٢ ،ص١٢٩. ،(طبعة دار المعارف) .

١٤٨. راجع هامش رقم (١٧).

١٤٩. أخرجه النسائى في الجهاد، باب فضل من عمل في سبيل الله على قدمه،ح رقم (٣١,٩).

١٥٠. انظر: ابن سنان الخفاجى، سر الفصاحة، شرح وتعليق عبد المتعال الصعيدى ،مطبعة محمد على صبيح وأولاده،١٩٦٩م ، ص٢.. .

١٥١. انظر: سنن النسائي، ج ٣ ،ص٣١٢ .

١٥٢. أخرجه النسائي ،في الجهاد، باب فضل من عمل في سبيل الله،،ح رقم (٣١١٥).

١٥٣. اللسان ،مادة (شحح)، ج٤ ،ص٢٢,٥ (طبعة دار المعارف) .

١٥٤. السابق نفسه.

١٥٥. السابق نفسه.

١٥٦. أخرجه ابن حبان ،في صحيحه(صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان) في باب ذكر الزجر عن طلب عثرات المسلمين وتعييرهم،ح رقم (٥٧٦٣)(تح/ شعيب الأرنؤوط، نشر مؤسسة الرسالة،بيروت،ط ٢، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣ م).

١٥٧. راجع هامش رقم(١٧)،

١٥٨. أخرجه البخاري، في الحدود،باب إقامة الحدود على الشريف والوضيع ، ح رقم (٦٧٨٧).

١٥٩. انظر: ابن حجر، فتح الباري ج١٢، ص١,٧ .

١٦٠. انظر: السابق ،ج١٢ ،ص١٤. .

١٦١. أخرجه أبو داود في الحدود. باب في القطع في العور إذا جحدت. ح رقم (٤٣٩٦).

١٦٢. وورد أن غير أسامة كلمه فيها، وهو عمر بن أبى سلمة،انظر:فتح الباري،ج١٢،ص١١٢.

١٦٣. انظر السابق ،ج١٢ ،ص١١. .

١٦٤. السابق، نفس الجزء ،ص١١١ .

١٦٥. اللسان، مادة (شرف) ،ج٦ ،ص٩. (طبعة دار صادر).

١٦٦. راجع هامش رقم (١٨).

١٦٧. ذكره ابن حجر في تعليقه على هذا الحديث، عن الطبراني من طريق ابن عمر. انظره:ج١،ص٣٧٥ .

١٦٨. ابن حجر، ج ١١ ،ص٢٧٥ .

١٦٩. انظر: السابق نفسه، ص٦١٧ .

١٧٠. أخرجه البخاري في الإيمان والنذور ،باب كيف كانت يمين النبي e، ح رقم(٦٦٣١).

١٧١. اللسان ، مادة (فرح) ،ج ٨ ،ص٢١١ .

١٧٢. السابق ،مادة (حزن) ،ج ٣ ،ص١٥٨ .

١٧٣. السابق ، مادة بكى ،ج ١ ،ص٤٧٥ .

١٧٤. ابن سنان الخفاجى، سر الفصاحة، ص٢٠٠ ، وانظر أيضاً :ص١٩٣،(مطبعة محمد على صبيح وأولاده) .

١٧٥. يشيع هذا الوصف على ألسنة الباحثين مقصودا به عربُ ما قبل الإسلام، والذي نحن على يقين منه أنهم كانوا جاهلين في الدين فحسب؛فالجاهلية التى ذمها الله فيهم إنما هى جاهلية الدين، لا الجاهلية على إطلاقها التى تسلبهم شيمهم، وأخلاقهم كالنجدة والمروءة والنصرة ؛ولذا نرى أن تسمية أدب هذا العصر، بالأدب الجاهلي

تسمية ظالمة تنطوى على طعن خفي في إعجاز القرآن فكيف يكون أدبا جاهليا ثم ينزل على أحدهم قرآن من الله–تعالى–يتحداهم به؟ وكيف يجوز أن يتحداهم فيما ليسوا فيه بنابغين؟ وأهم شروط المعجزة أن تكون من جنس ما نبغ فيه القوم،بل الإجماع منعقد على أن أدب هذا العصر كان أعظم عصور الأدب ،والإجماع منعقد، كذلك، على أنهم كانوا أهل لُسُن وبلاغة وكلام.

١٧٦. د/زكى مبارك،النثر الفني في القرن الرابع،دار الكتب المصرية بالقاهرة،١ ١٣٥٢هـ/١٩٣٤م،ج١،ص٦٥،وهذه العبارة أوردها د/مصطفي الصاوي الجوينى–دون الإشارة إلى النثر الفني–في:البلاغة العربية تأصيل وتجديد،ص١٩٣.

١٧٧. انظر د/ زكى مبارك، النثر الفنى،ج١، ص ٨.

١٧٨. الجاحظ،البيان والتبيين،تقديم وشرح د/على أبوملحم،دار ومكتبة الهلال، ط٢، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ج١،ص٢٣٩.

١٧٩. انظر : السابق، ج١ ص ٢٤١، وانظر كذلك: البلاغة العربية تأصيل وتجديد، ص ١٩٤ .

١٨٠. انظر : أنيس المقدسي،تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي،دار العلم للملايين،بيروت،ط٨،١٩٨٩ م.،ص ١٣ وما بعدها.

١٨١. هذه قضية خاض فيها كثير من العلماء قديما وحديثا، وموجزها : أن العلماء قديما وحديثا انقسموا فريقين : فريق ينفي السجع عن القرآن، ويصطلح له اصطلاحا خاصا به، هو الفواصل القرآنية، ومن هؤلاء الباقلانى(١)،وتطرف الرماني في نفيه السجع عن القرآن حين قال : الفواصل بلاغة والأسجاع عيب(٢)، وعلى النقيض تجد فريقا آخر يمثله أبو هلال العسكرى في الصناعتين(٣)، وابن سنان الخفاجى في سر الفصاحة (٤)وابن الأثير(٥)؛ فجميعهم أثبت السجع في القرآن ،ولم يسمِّه

فواصل محتجين بوروده في القرآن الكريم،وفي كلام رسول الله ٢ مبينين أن الذي ذمه الرسول ﷺ نوع منه يأتي كسجع الكهان يبتغى به رد الحق أو نقض حكم فيأتي متكلفا. لقصدهم إلى السجع ابتداء ، ومن المحدثين الذين ساروا على درب الباقلانى مصطفي صادق الرافعى(٦)، أما الذين يقفون على الطرف الآخر منهم في الإثبات متطرفا كالرماني–وإن كان الرماني تطرف في النفي– فعلى رأسهم د/ زكى مبارك في كتابه النثر الفني ؛حيث لم يكتف بإثبات السجع في القرآن، ولا بأس في هذا، بل زعم، بناء على رأيه أن القرآن نثر جاهلي، زعم أن القرآن وضع سورا مسجوعة تماثل سجع المتدينين من النصارى واليهود،بل الوثنيين أيضا!(٧) ويستدل على ذلك بأنك إذا دخلت كنيسة في باريس لتذكرت سجع القرآن والمتدينين، فاللون الديني واحد وصورة الأداء تكاد تكون واحدة (٨)، وهو يصرح بزعمه هذا ،حين يقول :من الواضح أن شبهة من كرهوا السجع ساقطة؛ لأن القرآن سجع، وما نظن الرسول تجنب أساليب الكهان، فإن الكهان لم يخلقوا السجع، وإنما كان حلية قديمة في اللغة العربية(٩)، وليس الموضع موضع تفنيد هذا الرأي، وإن كنا نشير إلى أن هذا الرأي له امتداده الاستشراقى ؛حيث سبقه جولد زيهر فى الربط بين القرآن الكريم وسجع الكهان على أساس أن العربي لم يكن يقبل حديثا دينيا إذا لم يكن هذا الخطاب مسجوعا (١٠)، وفي هذا الرأي خلط كبير ؛حيث يسحب التشابه الشكلي بين القرآن وما تجده في سجع الكهان أو غيرهم على القرآن، فيجعل هذا وذاك خطابا واحدا !على أن العرب سمعوا القرآن،وهم أدرى الناس بسجع الكهان،ولو كانت هناك أدنى شبهة في أن القرآن الكريم امتداد طبيعي لسجع الكهان لما آمن به العرب، وقصة إسلام عمر بن الخطاب بعد سماعه سورة(طه) شاهد على ذلك، غير أن هذا الرأي لزكى مبارك كان له تأثيره في رأيه فيما ورد من سجع في بعض أحاديثه ،وسيرد في مكانه. انظر توثيقا للإحالات في ثنايا هذا الاستطراد:

١٨٢. القاضي أبا بكر الباقلانى،إعجاز القرآن،تح/الأستاذ أبو بكر عبد الرازق،مكتبة مصر،د.ت،ص٥٣،٥١،

١٨٣. على بن عيسى الرماني، النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق د/ محمد خلف الله ود/ محمد زغلول سلام، دار المعارف، ص ٨٩ .أبا هلال العسكري، كتاب الصناعتين، تح/ على محمد البيجاوى، ومحمد أبو الفضل،مطبعة عيسى البابى الحلبي وشركاه ،القاهرة ،١٩٥٢ م، ص ١٦.،١٦١ .

١٨٤. ابن سنان الخفاجى،سر الفصاحة، ص ١٦٥ .

١٨٥. ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر،طبعة المطبعة البهية، القاهرة، د،ت،ص١٤٤.

١٨٦. مصطفي صادق الرافعى، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص ٢٥٥

١٨٧. د/ زكى مبارك، النثر الفنى في القرن الرابع، ج١، ص ٦٥ .

١٨٨. السابق ص٦٦.

١٨٩. السابق ص٨٩.

١٩٠. ديفين ستيوارت، السجع في القرآن، بنيته وقواعده، ترجمة وتعقيب د/ محمد بريرى، مقال بمجلة فصول، المجلد الثاني عشر،العدد الثالث ،خريف ١٩٩٣م،ص ٣٢ .وقد نقل السيوطى في الإتقان في علوم القرآن في الفصل التاسع والخمسين جملة من آراء العلماء حول هذه المسألة فليراجع الإتقان، طبع المكتبة الثقافية،بيروت ١٩٧٣م،ج٢،ص ٩٦،١,٥ ،وانظر تفصيلا لهذه القضية :د/ البدراوى زهران ،ظواهر قرآنية فى ضوء الدراسات اللغوية بين القدماء والمحدثين،دار المعارف،ط٢ ،١٩٩٣م،ص ، ١٩٨ /٢٠٠.

١٩١. انظر : الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن محبوب):البيان والتبيين ، تقديم

وشرح/ د. على أبو ملحم،دار مكتبة الهلال بيروت ،ط٢، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ج١ ص ٢٣٩،٢٤١ .

١٩٢. انظر السابق، ج١، ص ٢٥٣،٢٥٤، وما بين القوسين زيادة من الباحث ليتم المعنى فليس موجودا بالأصل. وقد اجتهد الباحث في توثيق هذا الحديث بما بين يديه من كتب الحديث الستة، وباستخدام الحاسوب فما أمكننا العثور عليه، فالعهدة على الجاحظ فيما رواه.

١٩٣. د/ شوقى ضيف : الفن ومذاهبه في النثر العربي، دار المعارف، ط٨،١٩٧٧م، ص ٤١،وإذا أردنا أن نضرب مثلا على ذلك من أقوال الكهان فخير تمثيل له، ما رواه الجاحظ عن عُزَّى سَلَمَةَ في قوله والأرض والسماء،والعقاب الصَّقْعَاء [التى في وسط رأسها بياض] واقعة بِبَقَعَاء [الأرض ذات الحصى الصِّغَار] لقد نَفَّر المجدُ بنى العُشَرَاء [عشيرة من فزارة] للمجد والسناء! انظر البيان والتبيين،ج١،ص ٢٤١،وأورد فخر الدين الرازي قولين لمسيلمة الكذاب ،فلينظرا. راجع: لمحمد بن عمر (فخر الدين الرازى)،نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تح د/ إبراهيم السامرائى، ود/ محمد بركات حمدى،دار الفكر للنشر والتوزيع،عمان ،الأردن، ١٩٨٥م، ص ٦٥،٦٦ .

١٩٤. انظر: السابق: الفن ومذاهبه، نفس الصفحة.

١٩٥. أخرجه البخاري، في الطب، باب الكهانة ،ح رقم (٥٧٥٨).

١٩٦. أخرجه مسلم، في القسامة والمحاربين، باب دية الجنين،ح رقم (٣٦)، وانظر فتح الباري، ج١٠،ص٢٦٤.

١٩٧. أخرجه مسلم، في نفس الكتاب والباب السابقين ،ح رقم (٣٧).

١٩٨. ابن حجر، فتح الباري،ج١٠، ص ٢٦٤، وج١١، ص ١٦٤ .

١٩٩. د/ شوقى ضيف، الفن ومذاهبه، ص ٤. .

٢٠٠. صحيح مسلم بشرح النووى، ج٦، ص ١٧٦ .

٢٠١. السابق نفسه .

٢٠٢. ابن سنان الخفاجى،سر الفصاحة،ص١٦٦ وما بعدها.

٢٠٣. راجع مادة (فصل) في المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، وضع محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤١٧هـ،١٩٩٦م، ص ٦٣١

٢٠٤. الزركشى(محمد بن بهادر بن عبد الله)،البرهان في علوم القرآن،تح /محمد أبو الفضل إبراهيم ،دار المعرفة ،بيروت،١٣٩١هـ،ج١،ص٥٤ .

٢٠٥. ديفيد ستيوارت :السجع في القرآن: بنيته وقواعده، ص ٣١، وراجع هامش (٠١).

٢٠٦. راجع هامش رقم (٠١).

٢٠٧. الباقلاني ،إعجاز القرآن ، ص٥٣،

٢٠٨. أحمد مصطفى المراغى ،علوم البلاغة العربية ،المكتبة المحمودية التجارية بالقاهرة ، ط١٩٧٢،٦،ص٣٧٢ .

٢٠٩. الفخر الرازي، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، ص ٦٥ .

٢١٠. ابن حجر، فتح الباري، ج١.، ص ٢٦٤ .

٢١١. عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان،ص٥،

٢١٢. صحيح مسلم بشرح النووى، ج٦، ص ١٧٦، وسبق توثيق الحديث في هامش رقم (١٤).

٢١٣. أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص ٣٦١ وسنتناول هذا الحديث بعد.

٢١٤. أخرجه البخاري، في الدعوات ،باب ما يكره من السجع، ح رقم (٦٣٣٧).

٢١٥. ابن حجر، فتح الباري، ج١١،ص١٦٤،وسيأتي تناول هذه الأحاديث فيما

بعد،وستوثق حينها.وتأمل هذا الحديث من الإمام ابن حجر وقارنه بما قاله زكى مبارك وادعاه على كلام رسول الله r من أنه لم يجتنب سجع الكهان ! مع أن الدكتور/زكى مبارك ينقل عن أبى هلال العسكري وقدامة بن جعفر نقولا توضح أن الرسول إنما ذم من السجع سجع الكهان! انظر :النثر الفنى،ج١،ص٩٢:٩٣،وص ٩٨،وراجع هامش (٧)

٢١٦. د/ زكى مبارك، النثر الفنى، ج١، ص ٦٧،والمسيو ما سينيون أستاذ الدكتور / زكى مبارك في الدكتوراه.

٢١٧. السابق: نفس الجزء والصفحة.سنتناول هذين الحديثين بعد ،وسيوثقان حينها.

٢١٨. السابق، ج١، ص ٦٧ .

٢١٩. السابق ،ج١، ص ٨٩ .

٢٢٠. ما بين القوسين من إضافة الباحث؛ليستقيم الأسلوب.

٢٢١. د/ مصطفي الصاوى الجوينى، البلاغة العربية تأصيل وتجديد،ص ١٩٣،وإن كنت أستغرب هذا على د/ مصطفي الصاوى الجوينى ؛لما أعلمه عنه من تلامذته من حبه وسلامة اعتقاده، فإني لا أستغربه من د/ زكى مبارك بعد دعواه على القرآن الكريم أنه يسجع سجعا مماثلا لسجع المتدينين من أصحاب الديانات السماوية السابقة، بل الوثنيين أيضا،بل يرى أن القرآن سجع ! راجع هامش رقم (٧).

٢٢٢. منها،علي سبيل المثال، الأحاديث التالية:البخاري ،في الإيمان باب إفشاء السلام من الإسلام ح رقم (٢٨)،وفي الحدود، باب كم التعزيز والأدب،ح رقم (٦٨٥) ،وفي الجمعة باب الجمعة في القرى والمدن،ح رقم (٨٩٣) ،وفي الصوم باب الوصال، ح رقم (١٩٦٣) ،وفي المظالم.باب لا يظلم المسلمُ المسلمَ ولا يُسْلِمُه، ح رقم (٢٤٤٢)،وفي الاستئذان باب السلام للمعرفة وغير المعرفة ح رقم (٣٢٣٦)،وفى

أحاديث الأنبياء، باب قصة بأجوج ومأجوج ، ح رقم (٣٣٤٦)،وفي أحاديث الأنبياء. باب الأرواح جنود مجندة،ح رقم (٣٣٣٦). وفي المغازى باب غزوة الخندق،ح رقم (٤١١٤)،وفي الإكراه، باب يمين الرجل لصاحبه أنه أخوه،ح رقم (٦٩٥١)،و في التمنى، بابما يجوز من اللوح رقم (٧٢٤٢).ومسلم في الإيمان باب تفاضل الإسلام ح رقم (٦٣)،وفي المساجد،باب استحباب الذكر بعد الصلاة،ح رقم (١٤٢) وفي الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب في التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل ح رقم (٧٧)،وفي الحدود بابجرح العجماء والمعدن والبئر جبار ح رقم (٤٥) وح رقم (٤٦)،وفي الأشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهماح رقم (١,٤)،وفي الأشربة،باب الأمر بتغطية الإناء ح رقم (٩٦)،وح رقم (٩٩)،وفي الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان،باب إباحة الضَّبِّ،ح رقم (٠٤).والنسائي في الجمعة،باب التبكير إلى الجمعة،ح رقم (١٣٨٦) ،وفى الجنائز ، باب أروح المؤمنين، ح رقم (٢,٧٧) ،وفي النكاح ، باب أي النساء خير،ح رقم (٣٢٣١)،وفي الضحايا، باب العجفاء،ح رقم (٤٣٨٣)،وفى الاستعاذة،باب الاستعاذة من الهرم ، ح رقم (٥٥٥٥) ،وفي الإيمان وشرائعه، باب أى الإسلام خير ،ح رقم (٥٠١٥) ،وفى الاستعاذة، باب الاستعاذة من دعاء لا يسمع ح رقم (٥٥٥٢).والترمذي في الزكاة.باب ما جاء أن العَجْمَاء جُرْحُها جُبَارٌ،ح رقم (٦٤٢)،وكرره في الأحكام، بابما جاء في العجماء جرحها جبار،ح رقم (١٣٧٧)،وفي الحج،باب ما جاء في التلبية،ح رقم (٨٢٦)،وفي النكاح،باب ماجاء إذا جاءكم من ترضون دينه فزوجوه،ح رقم(١,٨٤) ،وفي الحدود،باب ما جاء في الستر على المسلم، ح رقم (١٤٢٦)،وفى الزهد،بابما جاء فى الصبر على البلاء، ح رقم (٢٣٩٦)،وفي صفة القيامة والرقائق والورع،باب بدون ترجمة ، ح رقم (٢٥١٦)،وفى الدعوات، باب بدون ترجمة،ح رقم (٣٤٩٣).و أبو داود في الأدب، باب من رَدَّ عن

مسلم غيبة ،ح رقم (٤٨٨٤)،وفي باب المؤاخاة، ح رقم (٤٨٩٣) ،وفي باب في إفشاء السلام،ح رقم (٥١٩٤)،وفي باب كراهية أن يقوم الرجل من مجلسه ولا يذكر اللهح رقم (٤٨٥٦).وابن ماجة في الأطعمة، باب إطعام الطعام،ح رقم (٣٢٥٣)، وفي باب الأكل باليمين،ح رقم (٣٢٦٨)،وفي الأشربة، باب تخمير الإناء،ح رقم (٣٤١.)،وفى الدعاء، باب دعاء رسول الله e ، ح رقم (٣٨٣٧)،وفى الفتن، باب الصبر على البلاء،ح رقم (٤,٣١)،وفي الزهد ، باب النية،ح رقم (٤٢٢٧).

٢٢٣. انظر: هامش رقم (٣٢).

٢٢٤. د/محمد العبد، اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة: بحث في النظرية، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع،القاهرة الطبعة الأولى، ١٩٩.م ،ص١٠٠ ،وانظر أيضاً ص٩٩ .

٢٢٥. السابق،ص٩٤ .

٢٢٦. انظر السابق،ص١٣٩ .

٢٢٧. د/إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٥ ،١٩٨٤، ص١٩٧ .

٢٢٨. أخرجه النسائي،فى الاستعاذة،باب الاستعاذة من دعاء لا يسمع،ح رقم (٥٥٥٢)،وهو من الأحاديث التي زعم بها زكى مبارك أن السجع عند رسول اللهﷺ مقصود، وأن أساليب الكهان لم يجتنبها الرسول e !انظر النثر الفنى،ج١ ،ص٦٧،وقد نقله عن أبى حامد الغزالى.انظر: إحياء علوم الدين،دار مصر للطباعة،١٩٩٨م،ج١،ص٤١٧، ٤١٩.

٢٢٩. د/ محمد العبد ، اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة ، ص١٣٨ .

٢٣٠. المصدر السابق، نفس الصفحة.

٢٣١. انظر :البرهان،ج١،ص٧٥ . (طبعة دار المعرفة).

٢٣٢. انظر : أبا حامد الغزالي، إحياء علوم الدين،ج١ ،ص٤١٩،

٢٣٣. انظر: النووى ،صحيح مسلم بشرح النووى، ج٩ ،ص٤٣ .

٢٣٤. ابن حجر، فتح الباري ، ج٧ ،ص٥,٢ .

٢٣٥. أخرجه ابن ماجة، في الأطعمة، باب إطعام الطعام، ح رقم (٣٢٥١).

٢٣٦. انظر :النثر الفني، ج ١،ص٦٧ .

٢٣٧. أخرجه البخاري، في الإيمان، باب إطعام الطعام من الإسلام، ح رقم (١٢)،وفي باب إفشاء السلام من الإسلام، ح رقم (٢٨)،وفي الاستئذان، باب السلام للمعرفة وغير المعرفة، ح رقم (٣٢٣٦).ومسلم، في الإيمان، باب تفاضل الإسلام،ح رقم (٦٣).والنسائي ، في الإيمان، وشرائعه، باب أي الإسلام خير، ح رقم (٥,١٥). وابن ماجة،في الأطعمة، باب إطعام الطعام،ح رقم (٣٢٥٣).وأبو داود ،في الأدب ، باب في إفشاء السلام،ح رقم (٥١٩٤)،والرجل السائل قيل:هو أبو ذر،وقيل: هو هانئ بن يزيد والد شريح. انظر فتح الباري،ج١،ص٧٢.

٢٣٨. انظر الهامش رقم (٥٤).

٢٣٩. انظر: عباس حسن، النحو الوافي، ج٣، ص٢٥٨ .

٢٤٠. انظر: الشيخ الحملاوى، شذ العرف في فن الصرف،ص١,٤ ،والنحو الوافي، النوع التاسع والعاشر من جموع الكثرة التي تجمع على فعال،ج٤ ،ص٦٤٩ .

٢٤١. راجع:البخاري،في التوحيد،باب قوله تعالى(وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ)(القيامة/٢٢:٢٣)،ح رقم(٧٤٣٩)

٢٤٢. أخرجه مسلم، في الإيمان، باب بيان تفاضل الإسلام،ح رقم (٦٦).

٢٤٣. النووى، صحيح مسلم بشرح النووى ،ج١ ،ص٢٥٧ .

٢٤٤. أخرجه النسائي ،في النكاح، باب أي النساء خير، ح رقم (٣٢٣١).

٢٤٥. ابن منظور، اللسان، مادة بصر ج٢، ص٩٣ (طبعة أمين محمد عبدالوهاب).

٢٤٦. السابق. مادة نظر ،ج١٤، ص٢٩١ ،(طبعة دار صادر بيروت).

٢٤٧. السابق، ج١٤ ،ص٢٩٢ .

٢٤٨. سنن النسائي ،ج ٣،ص٣٨١.

٢٤٩. ومنها،كذلك،نظر عيان،ومنها نظر انتظار،ومنها نظر التعطف والرحمة. انظر:الشيخ عبد الله محمد الأنصاري، دقائق الإشارات إلى معاني الأسماء والصفات:اختصار الأسماء والصفات،للبيهقى،تح/عماد الدين حيدر ،دار الجنان للطباعة والنشر والتوزيع،ومؤسسة الكتب الثقافية،بيروت،ط١، ١٤,٨هـ، ١٩٨٨،ص٣٤٩ .

٢٥٠. انظر:أبا بكر محمد بن القاسم الأنبارى، في شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، تح وتعليق/ عبدالسلام هارون ،دار المعارف، القاهرة، ١٤..هـ، ١٩٨.م،ص٢٤٤ .

٢٥١. أخرجه الترمذي، في النكاح ،باب ما جاء أن المرأة تنكح على ثلاث خصال،ح رقم (١,٨٦).

٢٥٢. أخرجه مسلم فى الإمارة، باب كراهة الإمامة بغير ضرورة ، ح رقم (١٦).

٢٥٣. أخرجه البخاري ، في المغازى ، باب غزوة الخندق، ح رقم (٤١١٤).ومسلم ، في الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب في التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل، ح رقم (٧٧).

٢٥٤. السيوطى، الإتقان في علوم القرآن، ج٢،ص١,٥ .

٢٥٥. الجاحظ ،البيان والتبيين، ج٢ ،ص٣٣ .

٢٥٦. النووى ،صحيح مسلم بشرح النووى، ج٩، ص٤٤ .

٢٥٧. أخرجه البخارى، في المغازى ،باب غزوة الخندق،ح رقم (٤١١٥).

٢٥٨. انظر: ابن حجر، فتح البارى، ج٧ ،ص٥,٢ .

٢٥٩. السابق نفسه. وانظر: صحيح مسلم بشرح النووى، ج٩ ،ص٤٣ .

٢٦٠. د،محمد على زكى صباخ، البلاغة الشعرية في كتاب البيان والتبيين للجاحظ، إشراف ومراجعة د/ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية ،بيروت، ط١ ،١٤١٨هـ، ١٩٩٨م، ص٢٦٥ .

٢٦١. مصطفي صادق الرافعى ،إعجاز القرآن والبلاغة النبوية،ص٣٦٨ .

٢٦٢. انظر: د/ إبراهيم أنيس دلالة الألفاظ، ص١٩٨ .

٢٦٣. كما في تعليقهم علي تمثيل النبي e حال عتقاء الله من النار حين"يقبض الله سبحانه قبضة من النار،فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط. قد عادوا حِمَماً. فيلقيهم في نهر في أفواه الجنة ،يقال له نهر الحياة، فيخرجون كما تخرج الحَبَّةُ في حَمِيل السيل،ألا ترونها تكون إلى الحجر أو إلى الشجر ما يكون إلى الشمس أصيفر وأخيضر، وما يكون منها إلى الظل يكون أبيض؟ فقالوا: يارسول الله !كأنك كنت ترعى بالبادية! قال:فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم. يعرفهم أهل الجنة. هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه.»أخرجه مسلم في الإيمان،باب معرفة طريق الرؤية،ح رقم (٣,٢).

٢٦٤. عبد القاهر، أسرار البلاغة، ص٥ .

٢٦٥. السابق نفسه.

٢٦٦. عباس محمود العقاد ، عبقرية محمدe، دار نهضة مصر، القاهرة، د.ت،ص٧٤ .

٢٦٧. هذا الحديث هو نفسه الذي استشهد به زكى مبارك على قصدية السجع في بعض أحاديثه (انظر هامش رقم(٧)،وهذا هو الجرجاني ينقض ما نقضه الباحث من هذا المذهب.

٢٦٨. عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة ،ص٩ .

٢٦٩. انظر : البخاري ، في المناقب، باب صفة النبيﷺ ، ح رقم (٣٥٦٨).

٢٧٠. المصدر السابق ، ح رقم (٣٥٦٧).

٢٧١. ابن حجر ، فتح الباري ، ج ٦ ، ص ٧٠٤.

٢٧٢. المصدر السابق ، نفس الجز ء والصفحة .

٢٧٣. انظر:د،إبراهيم سلامة ،بلاغة أرسطو بين العرب واليونان:دراسة تحليلية نقدية تقارنية، ص٣٧٥:٣٧٤.

٢٧٤. ابن حجة الحموي، خزانة الأدب، ج١ ،ص٥٥ ٠

٢٧٥. د/سناء حميد البياتي،نحو منهج جديد في البلاغة والنقد، ص١٢٧،ود/عبد الواحد حسن الشيخ،البلاغة وقضايا المشترك اللفظي، ص١٢٠.

٢٧٦. أخرجه البخاري، في الدعوات ،باب ما يكره من السجع، ح رقم (٦٣٣٧)٠

٢٧٧. انظر: ص(٤٩) من البحث ٠

٢٧٨. انظر:د،محمد على زكى صباخ، البلاغة الشعرية في كتاب البيان والتبيين للجاحظ،ص٢٦٥ ٠

٢٧٩. مصطفي صادق الرافعى ،إعجاز القرآن والبلاغة النبوية،ص٣٦٨ ٠

٢٨٠. انظر: د/ إبراهيم أنيس دلالة الألفاظ، ص١٩٨ ٠

المصادر و المراجع

أولا: القرآن الكريم.

ثانيا:مصادر الحديث الشريف :

١- **محمد بن إسماعيل البخاري**(١٩٣هـ/٢٥٦هـ)، **الجامع الصحيح المسند من حديث رسول اللهr وسننه** وأيامه ، بشرح فتح الباري «للإمام الحافظ أحمد بن على بن حجر (ت: ٧٧٣هـ)، تح/عبد العزيز بن عبد الله بن باز،رقم كتبها وأبوابها وأحاديثها محمد فؤاد عبد الباقي، طبع دار الحديث ، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م. وطبعة المكتبة السلفية، تح/ محب الدين الخطيب وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، ط٣، ١٤٠٧هـ.

٢- **مسلم بن الحجاج القشيري أبو الحسن**(**٢٠٤هـ/٢٦١هـ**)، **صحيح مسلم ، بشرح النووى**، للإمام محيى الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووى(٦٣١هـ/٦٧٦هـ) ، تخريج وتعليق محمد محمد تامر، دار الفجر للتراث، القاهرة، ط١، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

٣- **الترمذي**(أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة(٢٠٩هـ/ ٢٧٩ هـ)، **الجامع الصحيح**، وهو سنن الترمذي، تحقيق وشرح، أحمد محمد شاكر، والأجزاء من ٣:٦ بتحقيق د.مصطفي محمد حسين الذهبي، القاهرة ، ط١ ، ١٤١٩هـ١٩٩٩ م.

٤- **النسائي**: (الإمام أحمد بن شعيب بن على بن سنان النسائي

(٢١٥هـ/ ٣٠٣ هـ)، **سنن النسائي (المجتبى)** بشرح الإمامين السيوطى السندى، تح/السيد محمد سيد، الأستاذ على محمد على والأستاذ سيد عمران، ضبط أصوله د.مصطفي محمد حسين الذهبي، طبع دار الحديث القاهرة ، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

٥- **أبو داود**:(سليمان بن الأشعث السجستانى الأزرجى(٢٠٢هـ/٢٧٥هـ)، **سنن أبى داود**، تح د/السيد محمد سيد، ود/عبد القادر عبد الخير، والأستاذ سيد إبراهيم، دار الحديث ، القاهرة ، ط١، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٦- **ابن ماجة** (الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزوينى(٢٠٧ هـ/٢٧٥هـ)**سنن ابن ماجة**، حقق نصوصه ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه وعلق عليه محمد فؤاد عبد الباقي،خرج أحاديثه وفهرسه /د.مصطفي محمد حسين الذهبي ،دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

٧- **ابن حبان** ، **(صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان)**،تح/ شعيب الأرنؤوط، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣، .

ثالثا: مصادر ومراجع الدراسة:

٨- **الآمدي**، الموازنة بين أبى تمام والبحتري، تح/محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العلمية، بيروت، ١٩٤٤م.

٩- **إبراهيم أنيس**، د، دلالة الألفاظ ، مكتبة الأنجلو المصرية،

ط٤، ١٩٨٠ م ، و ط٥ ، ١٩٨٤.

١٠- **إبراهيم سلامة** ، د، بلاغة أرسطو بين العرب واليونان: دراسة تحليلية نقدية تقارنية –مكتبة الأنجلو المصرية ، ط٢، ١٣٧١هـ/١٩٥٢م.

١١- **أبو بكر الباقلانى** ، القاضي ، إعجاز القرآن، تح وتقديم الأستاذ أبو بكر عبد الرازق ، مكتبة مصر ، د.ت.

١٢- **أبو بكر محمد بن القاسم الأنبارى**، في شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، تح وتعليق/ عبد السلام هارون، دار المعارف ، القاهرة ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

١٣- **أبو حامد الغزالى** : إحياء علوم الدين،دار مصر للطباعة ،١٩٩٨م

١٤- **أبو منصور الثعالبي** :فقه اللغة وأسرار العربية، شرح وتعليق د/ ديزيرة سقال،دار الفكر العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٩م ،ص٦ .

١٥- **أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني** زغلول ، موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف، دار الفكر، بيروت، ط١ ، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.

١٦- **أبو هلال العسكري**:(الحسن بن عبد الله بن سهل) ، كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.وطبعة عيسى البابى الحلبي وشركاه ، تح/ على محمد البيجاوى ومحمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة

، ١٩٥٢ م.

١٧- **أحمد حسن الزيات**، تاريخ الأدب العربي، دار الثقافة ، بيروت ، ط ٢٨، ١٩٧٨م.

١٨- **أحمد الحملاوي** ، الشيخ ا، شذ العرف في فن الصرف،

١٩- **أحمد السيد الهاشمي**،جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع،شرح وتح/حسن حمد، دار الجيل، ٢٠٠٢م

٢٠- **أحمد عبد المجيد خليفة**، د، من روائع البديع في القرآن الكريم،مكتبة الآداب،القاهرة، ط١،د.ت.

٢١- **أحمد عثمان** ، المعلقات:دراسة أسلوبية ،مخطوطة بكلية الآداب ، جامعة المنوفية ١٩٩٩م ،

٢٢- **أحمد مصطفي المراغي**، علوم البلاغة: البيان والمعاني والبديع، المكتبة المحمودية التجارية والمكتبة التوفيقية ، القاهرة ،ط ٦، ١٩٧٢م.

٢٣- **أحمد يوسف علي** ، د، مفهوم الشعر عند شعراء العباسيين، الأنجلو المصرية، ٢٠٠٤م

٢٤- **أنيس المقدسي**،تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي،دار العلم للملايين،بيروت،ط١٩٨٩،٨ م.

٢٥- **البدراوي زهران** ،د: ظواهر قرآنية فى ضوء الدراسات اللغوية بين القدماء والمحدثين، دار المعارف،ط ٢، ١٩٩٣م.

٢٦- **بدر الدين الزركشى**(بدر الدين محمد بن عبد الله) البرهان

في علوم القرآن، تح/ محمد أبو الفضل إبراهيم ،مكتبة التراث، د.ت ،وطبعة دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ،د.ت.

٢٧- **ابن الأثير**، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح /محمد محيي الدين عبد الحميد، المطبعة البهية، القاهرة، د.ت.وطبعة المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٥م. وعالم الكتب.بيروت.

٢٨- **ابن جني**(أبو الفتح عثمان ابن جنى)،الخصائص، تح محمد على النجار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ط٣، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م. وطبعة عالم الكتب،بيروت، د.ت

٢٩- **ابن حجة الحموي** (تقي الدين أبو بكر على) ، خزانة الأدب وغاية الأرب، شرح عصام شعيتو، دار مكتبة الهلال، بيروت ، ط٢، ١٩٩١ م.

٣٠- **ابن حجر (أحمدبن على بن حجر):**الرحمة الغيثية بالترجمة الليثية في مناقب سيدنا ومولانا الإمام الليث بن سعد t ،طبع بالمطبعة الأميرية،بولاق،مصر،ط١،١٣٠١ هـ،طبعة بدار الكتب المصرية مرقمة برقم(٦٣٤/ تاريخ).

٣١- **ابن رشيق القيرواني** (أبو على الحسن بن رشيق القيرواني) ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، قدم له وشرحه وفهرسه د.صلاح الدين الهوارى، وأ. هدى عوده، دار مكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ/١٩٩٦ م. و طبعة المكتبة العصرية، تح /على محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم

، بيروت، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م

٣٢- **ابن سنان الخفاجي** ، سر الفصاحة ، شرح وتعليق عبد المتعال الصعيدي ، مطبعة محمد على محمد صبيح وأولاده، ١٩٦٩م. و دار الكتب العلمية ، بيروت، ط١، ١٤٠٢هـ، ١٨٨٢م.

٣٣- ابن المعتز(أبو العباس عبد الله محمد المعتز بالله) ، كتاب البديع ، نشره أغناطيوس كراتشقوفسكى ،دار المسيرة، بيروت، ط٣ ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م

٣٤- **ابن منظور** (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقى) لسان العرب ، طبعة دار صادر ، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م .

٥٣- **الجاحظ** (أبو عثمان عمرو بن محبوب):البيان والتبيين،تقديم/ د.على أبو ملحم ، دار مكتبة الهلال بيروت ،ط٢، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

٣٦- **الرازي**(فخر الدين محمد بن عمر) ، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ،تح/د. إبراهيم السامرائي ود. محمد بركات حمدي ،دار الفكر والنشر والتوزيع ، عمان ،الأردن،١٩٨٥م.

٧٣- **رجاء عيد**، د، :فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور،منشأة المعارف بالإسكندرية ، ط٢، د.ت.

٣٨- **الرماني** (على بن عيسى) ،النكت في إعجاز القرآن ، (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، تح محمد خلف الله

ومحمد زغلول سلام ،دار المعارف.

٣٩- **الزركشي**(محمد بن بهادر بن عبد الله)، البرهان في علوم القرآن، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩١هـ.

٤٠- **زكي مبارك** ، د ، النثر الفنى في القرن الرابع ، دار الكتب المصرية بالقاهرة، ١٣٥٢هـ/١٩٣٤م.

٤١- **الزمخشري**(أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشرى) :أساس البلاغة ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

٤٢- **سعد أبو الرضا**، د، في البينة والدلالة : رؤية لنظام العلاقات في البلاغة العربية. منشأة المعارف بالإسكندرية.د.ت.

٤٣- **سليمان فياض** ، معجم الأفعال العربية الثلاثية المعاصرة ، دار المريخ للنشر ، الرياض ، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

٤٤- **سناء حميد البياتي**، د، نحو منهج جديد في البلاغة والنقد:دراسة وتطبيق، ، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ليبيا، ط١، ١٩٩٨م

٤٥- **السيوطي**، (جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر):الإتقان في علوم القرآن طبع المكتبة الثقافية ، بيروت، ١٩٧٣.جَنَى الجناس ، تح ودراسة وشرح د. محمد على رزق الخفاجى، نشر الدار الفنية للطباعة والنشر، ١٩٨٦م .المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تح/ فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية،

بيروت، ط١، ١٩٩٨. وطبعة مكتبة دار التراث ،تح محمد أحمد جاد المولى، ومحمد أبو الفضل وعلى محمد البيجاوى ، القاهرة ، ط٣ ، د.ت.

٤٦- **شفيع السيد**، د :الاتجاه الأسلوبي في النقد الأدبى ، دار الفكر العربى، القاهرة، د.ت.

٤٧- **شوقي ضيف**، د،: الفن ومذاهبه في النثر العربي، دار المعارف، ط٨، ١٩٧٧م.

٤٨- **صلاح الدين الصفدى**،جنان الجناس في علم البديع ، طبع مطبعة الجوانح ،ط١ ، ١٢٩٩هـ.

٤٩- **عباس حسن** ، النحو الوافي ، دار المعارف ، ط ١١ ، د.ت

٥٠- **عباس محمود العقاد** ، عبقرية محمد ﷺ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة، د.ت.

٥١- **عبد السلام المسدى** ، د ،:التفكير اللساني في الحضارة العربية ،الدار العربية للكتاب ، ط٢ ، ١٩٨٦ م.

٥٢- **عبد القاهر الجرجاني** :أسرار البلاغة في علم البيان،تح رشيد رضا،دار الكتب العلمية،بيروت،ط١، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.

٥٣- **عبد الله محمد الأنصاري** ،دقائق الإشارات إلى معاني الأسماء والصفات: اختصار الأسماء والصفات للبيهقى، تح/ الشيخ عماد الدين حيدر، دار الجنان للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت ومؤسسه الكتب الثقافية، بيروت ،ط١،

١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٥٤- **عبد الواحد حسن الشيخ**، د، البلاغة وقضايا المشترك اللفظي، ملتقي الفكر ،الإسكندرية،

٥٥- **علي بن عبد العزيز الجرجاني**(القاضي الجرجاني)، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تح/محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية ، ط٤، ١٩٦٦م

٥٦- **عمر موسى باشا**: أدب الدول المتتابعة ، دار الفكر الحديث، لبنان، ١٩٦٧م

٥٧- **فتحي على عبده**، د، نقد النثر في التراث النقدى والبلاغى ،الدار المصرية للكتاب ،ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

٥٨- **القزوينى**:(جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزوينى)، الإيضاح في علوم البلاغة ، تقديم وشرح د. على أبو ملحم، منشورات مكتبة الهلال بيروت، الطبعة الأخيرة ، ٢٠٠٠م.

٥٩- **كريم حسام الدين** ، د، الدلالة الصوتية :دراسة لغوية لدلالة الصوت ودوره في التواصل، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط١ ، ١٤١٢هـ /١٩٩٢م.

٦٠- **مأمون محمود ياسين**،د،من روائع البديع،مطبعة دبي،الإمارات العربية المتحدة ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

٦١- **المباركفورى**(صفي الرحمن)،الرحيق المختوم: بحث في السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام،دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع المنصورة ،مصر ،ط٤،

١٤٢٢هـ/٢٠٠١م

٦٢- **محمد العبد** ، د، اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة :بحث في النظرية ، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، القاهرة، ط١، ١٩٩٠م.

٦٣- **محمد على زكى صباخ**، د، البلاغة الشعرية في كتاب البيان والتبيين للجاحظ ، إشراف ومراجعة .د. ياسين الأيوبى ، المكتبة العصرية ، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٨٨م.

٦٤- **محمد فؤاد عبد الباقي** ،المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الحديث، القاهرة، ط١ ، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

٦٥- **مصطفي صادق الرافعي** ،إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، مكتبة مصر ، د.ت.

٦٦- **مصطفي الصاوي الجويني**، د، : البلاغة العربية : تأصيل وتحديد ، منشأة المعارف، د.ت.

٦٧- **منى علي سليمان الساحلي**، د، التضاد في النقد الأدبي مع دراسة تطبيقية من شعر أبى تمام، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، ليبيا، ١٩٩٥م

٦٨- **منير سلطان**، د، البديع تأصيل وتحديد ، منشأة المعارف بالإسكندرية، ط١، ١٩٨٦ م.

رابعا: الكتب المترجمة:

٦٩- **ستيفن أولمان**،دور الكلمة في اللغة ، ترجمة د.كمال محمد بشر، مكتبة الشباب، القاهرة، ط١٠ ، ١٩٨٧م.

٧٠- **والتر .ج .أونج**، الشفاهية والكتابية ، ترجمة د. حسن البنا عز الدين ، مراجعة د. محمد عصفور، عالم المعرفة ، الكويت، العدد (١٨٢) ، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

خامسا: السلاسل والمجلات:

٧١- **الثعالبي**(أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي)، فقه اللغة وأسرار العربية، تح/مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ شلبي، تقديم /د.محمد حماسة عبد اللطيف، الهيئة العامة لقصور الثقافة ،سلسلة الذخائر ،العدد (١٦٨)، القاهرة، ٢٠٠٨م.

٧٢- **ديفين ستيوارت** ،السجع في القرآن: بنيته وقواعده ، ترجمة وتعقيب د. محمد بريرى، مقال بمجلة فصول القاهرية ، المجلد الثاني عشر ، العدد الثالث ، خريف ١٩٩٣م.

الفهرس :

تمهيـــد:.....٧
عصر الفصاحة والبلاغـــة.....١٠
الحديث النبوي والثقافة الشفاهية:.....١١
مصدر قوة الكلمة عنده.....١٢
طريقته في إلقاء الكلام /الحديث.....١٤
الفصل الأول :الجناس ظاهرة موسيقية
معيار الجودة في الجناس.....٢١
أولاً: ما ورد من جناس في الطهارة.....٢٧
ثانياً: ما ورد من جناس في الجهاد.....٣١
ثالثا: ما ورد من جناس في بيان الفرق بين المسلم والمؤمن.....٣٢
رابعاً: ما ورد من جناس في الدعاء:.....٣٤
هل الجناس عبث لفظي كما يرى محمد مندور؟.....٣٩
الفصل الثاني :الطباق
القيمة المعنوية والإيقاعية للطباق:.....٤٢
أولاً: ما ورد من طباق في بيان ما اختص به:.....٤٦
ثانيا: ما ورد من طباق في بيان معنى عقدي:.....٥٢
ثالثاً: ما ورد من طباق حاملاً معنى البشارة والنذارة:.....٥٦
رابعا: ما ورد من طباق فيما يخص صفة المسلم:.....٥٩
خامســـا:ما ورد من طبـــاق في بيان وجوب تطبيق شـــرع الله
على الجميع :.....٦٣
سادساً: ما ورد من طباق تعليقاً على موقف ما :.....٦٦

الفصل الثالث : السجع وإيقاع الجملة

السجع أسلوب أثير عند العرب:.....٧٢
موقف النبي من السجع:.....٧٤
معيار جودة السجع:.....٧٦
الرد على من زعم أن الرسول ما تجنب أساليب الكهان!.....٨١
أولاً: ما ورد من سجع في الدعاء..... ٨٣
ثانياً: ما ورد من سجع في موضوعات مختلفة.....٨٧
أولاً: ما ورد من سجع في الدعاء:.....٩٧
الخاتمة:.....**١٠٥**

تعريف بالمؤلف :

الاسم : أ.د/ عبد العزيز فتح الله على عبد الباري

- أستاذ الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية العالمية بالقاهرة / فرع جامعة التضامن العربية الفرنسية بالنيجر حاليا.
- أستاذ البلاغة والنقد الأدبي والأدب المقارن المشارك سابقا بجامعة عمر المختار /ليبيا
- دكتوراه في اللغة العربية وآدابها بمرتبة الشرف الأولي تخصص البلاغة والنقد
- ماجستير في اللغة العربية وآدابها –تخصص البلاغة والنقد –بتقدير جيد جدا
- ليسانس آداب/قسم اللغة العربية /جامعة بنها/ الترتيب الأول علي الدفعة/١٩٩٣ .
- دبلوم العلوم التربوية من كلية التربية –جامعة بنها–١٩٩٤م.
- عضو محكم باللجنة العلمية لترقيات الأساتذة المساعدين بجامعة عمر المختار .
- عضو محكم بمجلة المختار للعلوم الإنسانية بجامعة عمر المختار(مجلة علمية محكمة)
- عضو محكم بمجلة كلية التربية بالبيضاء جامعة عمر المختار (مجلة علمية محكمة).

- عضو عامل برابطة الأدب الإسلامي العالمية بالمملكة العربية السعودية .
- أستاذ الدراسات العليا حاليا.
- مشرف على بعض رسائل درجتي الماجستير والدكتوراه بالجامعة الإسلامية العالمية

فرع جامعة التضامن العربية الفرنسية بالنيجر الخاصة بالقاهرة

- عضو لجنة تحكيم ومناقشة بعض رسائل الماجستير بكلية الآداب جامعة بنها
- أشرف على رسائل الماجستير والدكتوراه بكلية الآداب جامعة عمر المختار .
- من الرسائل التي أشرف عليها وناقشها :
- أثر القرآن الكريم في أدب ابن المقفع :دراسة نقدية بلاغية.
- رسالة ماجستير مقدمة من الباحثة /نهى شعبان علام (عضو لجنة تحكيم ومناقشة/ كلية الآداب جامعة بنها .)
- التواصل غير اللفظي في ديوان العشاريات للشاعر إبراهيم أحمد مقري :دراسة في لغة الجسد) رسالة ماجستير مقدمة من الباحث /أحمد منتقي إبراهيم (مشرف ورئيس لجنة الحكم والمناقشة/ الجامعة الإسلامية) .
- البلاغة القرآنية في تفسير التحرير والتنوير :سورة النور أنموذجا .

رسالة ماجستير مقدمة من الباحثة /رضوى محمد عبد السلام

(مشرف /كلية الآداب /جامعة عمر المختار)

- التصوير الفني في سورة البقرة : رسالة ماجستير مقدمة من الباحثة / فوز إدريس يحي بوبكر (مشرف /كلية الآداب /جامعة عمر المختار) .
- علم النحو وأهميته لدراسة العلوم الشرعية رسالة ماجستير مقدمة من الباحث /دابوني يحي (مشرف ورئيس لجنة الحكم والمناقشة/الجامعة الإسلامية)
- تيسير النحو : بين النظرية والتطبيق:رسالة ماجستير مقدمة من الباحث /تيسير فايز الزهر (مشرف /الجامعة الإسلامية /قيد الإنجاز)
- الصورة الفنية في خطب الرسول صلى الله عليه وسلم رسالة ماجستير مقدمة من الباحث /عبد الرشيد سالم (مشرف /الجامعة الإسلامية/ قيد الإنجاز)
- له العديد من المؤلفات العلمية والأبحاث المنشورة بالمجلات العلمية المحكمة وعلى الشبكة العنكبوتية .

- للتواصل :القليوبية / كفر شكر /كفر الشهاوي خاطر
- الايميل : abdelazyz_2009@yahoo.com
- تليفون: ٠١٠٠٠٦٠٤١٢٤